عربة الموتى

رواية قصيرة من أدب الغموض

بقلم : منال عبد الحميد

(١)

-" جيفري .. جيفري .. لا يمكنك البقاء هكذا دون عمل ! "
-" ..... "
-" جيفري .. لا يمكننا الاستمرار هكذا ! "
-"....."
-" جيفري .. هذا ليس جيدا .. وضعنا هكذا ليس جيدا على الإطلاق ! "
-"..... "
-" جيفري .. البيت يلتهم المال كالبالوعة وأنت سلبي للغاية ! "
-"..... "
-" جيفري .. إنني أحادثك فلم لا تتنازل وترد على ! "
-"....."
زعقت " ناتالي " فجأة ، بعد أن فاض كيلها ، وكاد يعم المنزل كله ويغرقه .. إنه حتى لا يكلف نفسه مئونة الرد عليها ، ويجلس هكذا صامتا ليسمعها تلومه وتقرعه ثم ينصرف إلي اللعب مع الطفلين والكلب تاركا إياها تغلي من الغضب !

بالفعل كان الوضع غير جيد على الإطلاق ، ولا يمكنهم المضي قدما هكذا بأية طريقة من الطرق .. المصيبة الحقيقية كانت في أنهم ليس لديهم مورد مالي للإنفاق ، عدا عمل الزوج .. الزوجة " ناتالي " كانت تعمل طبعا ، لكنه عمل موسمي مؤقت في بعض المتاجر التي تبيع أدوات الصيد والشباك وطعوم الصيد لهواة ومحترفي صيد الأسماك ، لكنها لم ترتبط بالعمل لحساب متجر واحد أبدا .. والكساد الذي عم البلاد ، وأثر على الهواية المحببة وعشاقها ، جعل العثور على فرصة عمل مشابهة أمرا متعذرا للغاية .. ولم يكن من الممكن تجاهل الأمر !
فلديهما أقساط رهن المنزل ، والطفلين وأشياء أخري كثيرة ، والتزامات يصعب التنصل منها أو تجاهلها .. فما هو الحل إذن ؟!
الحل أن يبحث الزوج عن عمل ، فطرده من شركة الشاحنات التي كان يعمل بها ليس نهاية المطاف ، ولا هو نهاية العالم فلابد من الاستمرار والمضي قدما إلي الأمام .. ولكن كيف يفعلون ذلك بحفنة صغيرة من الدولارات المتبقية ؟!
ليس الأمر مستطاع من أية ناحية ما لم يقف " جيفري " على واجباته ويعرف حجم مسئولياته جيدا ويتقدم لحملها دون تذمر ..
كانت الزوجة تعد حساء للغداء ، كانت قد اعتادت طبخ الطعام في تلك الفترة الأخيرة خصيصا لأجل الطفلين فقط .. ف" جيفري " لم يعد يأكل إلا أقل القليل وهي صدقت نفسها عن الطعام وعن الكون بأسره !
-" جيفري .. ساعد الولدين في إعداد المائدة ! "

كانت " ناتالي " تقطع الجزر حينما أصدرت أوامرها بتجهيز المائدة ، من أجل وضع الطعام فوقها .. كانت قائمة الغداء غير واعدة اليوم ، ولم تكن كذلك منذ فترة طويلة ، فلم يكن بمكنة الميزانية المتعسرة سوي تحمل حساء خضر قليل الدسم ، وبعض مقرمشات الذرة للولدين ، وإن حرصت الأم على مصالحة الطفلين بإعداد بعض الكوكيز لهما ، على سبيل الاسترضاء ، وكذلك لم ينسيها همها الخاص الحرص على تجنب تضمين الدهون المتحولة في وجبات الطفلين خاصة .. كررت " ناتالي " الأمر ، بعد أن لاحظت أنه ليس ثمة تحضيرات أعدت لتجهيز المائدة لكن " جيفري " لم يبالي بها .. ألتفتت خلفها لتراه ممسكا بعدد من مجلة الجمعية الإعلانية الأمريكية ، ويتأمل صفحة ما من صفحاتها بتركيز شديد .. تورد وجه الزوجة النحيف الشاحب وتركت ما تقوم به وذهبت لتتفقد الأمر وكلها أمل

-" هل عثرت علي شيء ؟! "

همهم الزوج بكلمة غامضة ، لكن " ناتالي " لم تتركه يفلت من بين يديها ببساطة .. ذهبت إليه والتصقت بكتفه وتطلعت من فوقه إلي ما يرنو إليه بعينين ثابتتين :

-" أوه يا إلهي ! "

ذلك أن الجريدة كانت تنشر إعلانا لشركة تطلب قائدي شاحنات للعمل فورا وبمرتب مجزي :

-" أوه يا عزيزي .. كم هذا لطيف ! "

تقافزت الزوجة كالأطفال خلف كتفي زوجها .. لكنه ، وإن كان سعيدا مثلها وربما أكثر ، إلا أن وجهه كان مقطبا قليلا :

-" هل قرأت الشروط ؟! "

فقد كانت الشروط المنشورة غريبة للغاية وغير مفهومة :

(سائق شاحنة متمرس .. لا تلزم سنوات خبرة كثيرة ، حذر ونشيط ومتيقظ .. غير ملتزم بمواعيد محددة ، في الثلاثين أو الأربعين من عمره .. وأخيرا : ليست لديه اعتقادات أو أفكار دينية منغلقة وليس لديه تحفظات حول التعامل مع الموتى ! "

-" موتي ؟! "

هتف الزوجين في نفس واحد مذهولين من غرابة تلك الشروط ، التي يبدو أن واضعها يفتقد لأقل قدر من العقلانية وحسن البيان .. لكن الأمر ، رغم ذلك ، كان مستحقا للمحاولة .. لم يكن الأمر صعبا فعنوان الشركة التفصيلي كان مدرجا في الإعلان ، وكذا أرقام هواتفها واسم مديرها .. وحُدد موعد لاستقبال الراغبين في العمل منذ السادسة من مساء السبت التاسع والعشرين من يوليو .. أي بعد ثلاث ساعات من الآن !

(٢)

مقر الشركة ؟!
أهذا ما يطلقون عليه ، بكل جراءة وتبجح ، اسم (مقر الشركة) ؟!
وكر ضيق عفن عبارة عن شقة أرضية صغيرة ، مكونة من حجرة وصالة صغيرة ، مجرد ممشى ، لا تزيد مساحتها الكلية عن عشرة أمتار ، مع إدخال الشفقة البشرية وحسن الظن ، في الأمر وبشدة .. جلس في مواجهة كائن ذو نظارات سميكة ، كان من الصعب تحديد نوعه وجنسه .. هل هو رجل أم امرأة ؟!
يصعب تحديد ذلك على أي إنسان عادي .. فما بالنا برجل مكتئب متوتر مثل " جيفري ديغراس " ؟!
لم يكن بحجرة الانتظار ، عداه هو والكائن ذو النظارات السميكة ، سوي كلب أسود يبدو شكس الطباع مربوط بسلسلة سميكة إلي رجل مكتب السكرتارية .. أستقبله السكرتير ، أو السكرتيرة بصمت ، نظرت إلي هويته وإلي الإعلان الذي قصه من الجريدة تباعا ثم هتفت جادة تماما :
-" هناك ستمائة وخمسة وثلاثون شخصا يتقدمونك في طلب فرصة العمل لدينا .. لكنني سأسمح لك بمراجعة مستر " موفات " الآن ! "
ستمائة وخمسة وثلاثون ؟!
عظيم جدا .. لكن لماذا لا يري واحدا منهم ، ولا حتى نصف واحد ، في حجرة الاستقبال العفنة هذه ؟!
كان واضحا أن هذه السكرتيرة ، كما يدل صوتها على كونها أنثي ، كذابة كبيرة .. ولعلهم كلهم في النهاية حفنة من النصابين ومستغلي الباحثين عن العمل مثله !
راجع نفسه ، وفكر جديا في أن يعود أدراجه ، ويخبر " ناتالي " ببساطة أن الأمر يبدو مريبا جدا .. لكن الباب الداخلي فُتح ووجد نفسه يُقاد إلي الداخل .. أُدخل الغرفة الصغيرة ثم أغلق الباب من خلفه !

...

أهذا هو السيد المدعو " موفات " .. إنه يبدو لطيفا للغاية !
شعر فضي لامع فوق رأس متوسط ، ووجه لطيف وسيم به تجعيدات خفيفة عند زاويتي الأنف بشكل ، للغرابة ، منحه مزيدا من الوسامة .. ابتسم مستر " موفات " لزائره وهمس بصوت رقيق :
-" تفضل يا سيد " ديغراس " ! "
حاول " جيفري " أن يرد بابتسامة مماثلة ، كما تقتضي اللياقة ذلك ، لكنه فشل في ذلك تماما :
-" أجلس ! "
أشار إلي مقعد مواجه للمكتب الذي يجلس خلفه ، فأتجه الزائر نحوه مترددا وجلس نصف جلسة على طرف المقعد شاعرا بتوتر العالم كله .. ابتسم السيد وقال ممازحا :
-" هل نبدو لك كنصابين خطرين ؟! إن لك خيالا واسعا يا سيدي ! "

كاد " جيفري " ينتفض مكانه من وقع المفاجأة عليه ، إن الكلمات التي أستخدمها المدعو" موفات " (نصابين خطرين) هي ذاتها التي أستعملها عقله في إثارة مخاوفه وشكوكه !
لكن لم يكن هناك وقت للدهشة .. لأن المزيد منها آت في الطريق .. فلم الاستعجال إذن ؟!
-" أعرف أننا نبدو كأغرب شركة يمكن أن تراها أو تسمع عنها في العالم ! لابد أنني أنا و" جورجينا " نناسب تماما دور المدير النصاب ، والسكرتيرة الحسناء التي تعمل كغطاء له ! "
مدير نصاب نعم .. أما سكرتيرة حسناء فهذا ظلم بين !
من أسماها " جورجينا " لقد أبدع حقا وأدي عمله على أكمل وجه .. إنها (جورجونة) فعلية !
ناهيك عن أن التشبيه كله ، إن استثنينا منه جزئية السكرتيرة الحسناء ، يبدو ملائما تماما لوصف ما يحسه " جيفري " نحو هؤلاء القوم !
-" لا أريد تضييع المزيد من الوقت يا مستر " ديغراس " .. أعلنك فقط أننا قد اخترناك من بين المرشحين لوظيفة سائق شاحنة لدينا وعهدنا إليك بالوظيفة ! "
-" هكذا ؟ ألن تختبروننني أولا ؟! "
طبعا كان سؤالا منطقيا ، لكن إجابة السيد " موفات " عليه لم تكن تحمل رائحة المنطق على الإطلاق .. نهض من مقعده ودار حول المكتب ، حتى وصل إلي حيث جلس " جيفري " المذعور ، ووضع يدا باردة مغطاة بقفاز فضي ، أول مرة يلاحظه الأخير ، على كتفه :
-" وما حاجتنا إلي تلك الاختبارات يا سيدي ؟ إننا نعمل عملا يقوم أساسا على الثقة وحسن الاختيار من النظرة الأولي .. إننا نختار موظفينا بطريقة غير اعتيادية ، وندربهم بطريقة غير اعتيادية ، ونكلفهم بعمل غير اعتيادي كذلك (أرتجف " جيفري " للمسة " موفات " الباردة رغم القفاز الذي يغطي يده ، وكاد يجري هاربا لولا أن الجملة التالية كانت في الجول فعلا) ونمنحهم رواتب غير اعتيادية كذلك ! "
-" كم ستعطونني ؟! "
سأل " جيفري " بصوت مبحوح ، فاتسعت ابتسامة " موفات " وهتف مؤكدا :
-" أنت من ستحدد ذلك ! "
-" بمعني ؟! "
-" إننا نعمل بالقطعة يا سيدي .. وكم ما ستحصل عليه سيحدده جهدك وقدرتك على العمل ولسنا نحن من نحدد ! "
-" لا أفهم ! "
-" طبيعي .. وأعتقد أنه قد آن الأوان لتعرف طبيعة عمل شركتنا المحدودة بالضبط ! "
...
لم يلحظ " جيفري " من قبل أن ثمة باب ثالث ، عدا باب الشقة الخارجي وباب غرفة مستر " موفات " ، موجود بداخل الشقة الصغيرة الخانقة .. وربما يرجع ذلك إلي أنه متواري خلف ستار رث صغير ، لا يوحي بأن خلفه أي شيء .. ربما فيما عدا حمام يعج بالقذارة وبالمراحيض الطافحة التي تحتاج لتسليك فوري !

على أن الستار الرث ، في نهاية الأمر ، لم يكن خلفه شيء من ذلك ، بل غرفة أخري .. غرفة شاسعة الامتداد !
بالطبع لم يكن من اليسير على أحد أن يصدق وجود غرفة بتلك الأبعاد في شقة كتلك .. لكن ليت الأمر توقف عند ذلك الحد !
لم تكن بتلك الغرفة أي قطع من الأثاث ، بل كانت مجرد امتدادات رهيبة من الجدران المكسوة بالقرميد الأبيض ، الذي يلمع لمعانا مؤذيا للعين ، مكدسة بصناديق زجاجية معظمها خاوي .. لكن البقية الباقية كانت مليئة بجثث مجمدة .. جثث بشرية !
أرتعد " جيفري " للمشهد كما للبرودة الرهيبة في تلك الغرفة وتراجع خطوات إلي الوراء :
-" سيد " جيفري " .. إننا نعمل كشركة صغيرة محدودة المسئولية في تنظيم عمليات دفن خاصة لبعض الناس الذين يتركون وصايا ، قبل موتهم ، يعلنون فيها رغبتهم بالإبقاء على رفاتهم صالحة وجميلة حتى نهاية عصر العلم .. إن هؤلاء الذين تراهم ممدين أمامك في توابيتهم الزجاجية ليسوا سوي عينات بسيطة بالنسبة لمن قررنا التخلص منهم ، لأن ورثتهم توقفوا عن دفع أقساط مستحقة للشركة نظير عمليات الحفظ الأبدية ولذلك وضعناهم هنا تمهيدا للتخلص منه .. "
أرتجف باطن " جيفري " ولم يجرؤ على فتح فمه بكلمة واحدة ، بينما تابع الآخر غير مكترث بما يبدو على زائره من فزع واضطراب :
-" ومهمتك إن قبلت العمل لدينا ، وأحسبك قد فعلت ، أن تقود الشاحنة المخصصة لجلب الجثث الحديثة لمن طلبوا مسبقا التعامل مع شركتنا ، وإحضارهم إلي معمل التحنيط والكبس التابع لنا .. كما ستقوم بقيادة الشاحنة لتوفير نزهات خاصة للموتى ، الذين أوصوا بإعداد نزهات خاصة لأجسادهم المحنطة في مناسبات ذكري زواجهم ، أو ميلاد أطفالهم أو أي شيء آخر .. وبالطبع فستقوم بمهمة التخلص من الموتى الذين توقفوا عن الدفع ! "
الآن لم يعد " جيفري " بقادر على السيطرة على نفسه ، ففكر جديا في أن يأخذ جسده المرتعش البارد ويلوذ بالفرار .. لكن الأوان كان قد فات فيما يبدو !
-" سيد " ديغراس " .. إننا نقبل طلبات التوظيف ولا نقبل الاستقالات لا المبررة ، ولا غير المبررة .. كما أننا ندفع خمسمائة دولار لكل جثة يتم شحنها منا أو إلينا أو إلي المحارق .. فهل ترغب بتوقيع عقدك الآن ؟! "
نظر إليه " جيفري " بذعر .. توقيع عقد ؟!
لكنه تذكر فجأة الخمسمائة دولار ؟!
ماذا لو أنه قام بنقلتين فقط كل يوم ؟!
سيحصل على ألف دولار في بضع دقائق يقضيها في قيادة الشاحنة !
ويبدو أن أعمال تلك الشركة ، شركة المعتوهين المحدودة هذه ، رائجة حقا فكيف لا يقبل بصفقة صغيرة رابحة كتلك حتى وإن كانت مخيفة ؟!
هل تقبل يا سيد " ديغراس " ، أنت مفلس وأسرتك تقف على حافة التضور جوعا ، و " ناتالي " ستنشب مخالبها في لحمك إن لم تعد لها بفرصة عمل محققة ؟!

نظر " جيفري " إلي المدعو " موفات " طويلا ، ثم هتف متوسلا مذعورا في نفس اللحظة :
-" أمنحني وقتا للتفكير من فضلك ! "
ابتسم " موفات " وقال وكأنه يؤدي دورا في مسرحية هزلية مضحكة :
-" حسنا سأكون كريما معك .. خمس دقائق كافية جدا في رأيي .. أليس كذلك ؟! "

...

-" خمس دقائق ؟! "
ولكن خمس دقائق لا تكفي لأي شيء ، وليس لكي يتخذ الإنسان قرارا مصيريا مهما ، مثل قرار الالتحاق بعمل ما ، لكن من قال أن الدقائق تلك لم تكن كافية ل" جيفري " ليقرر موقفه ومصيره ؟!
لقد حسم أمره منذ اللحظة التي أخبره فيها السيد " موفات " بأن أجر نقلة واحدة ، نقل جثة واحدة ، هو خمسمائة دولار !
ومن منظر حجرة الجثث في الشركة بدا له أن ثمة جثث كثيرة ترد إليهم ، وستكون هناك جثة واحدة على الأقل يوميا ، مما يعني أن دخله اليومي لن يقل ، وقد يزيد كثيرا ، عن خمسمائة دولار .. فهل هو مجنون ليرفض مبلغا كهذا وهو في ورطة مادية كاملة ؟!
طبعا لا :
-" حسنا يا سيدي .. إنني أقبل ! "
ابتسم له " موفات " ومد إليه يدا ، فتناولها " جيفري " وهزها بمودة :
-" جورجي " إلي بالعقد ! "
وفي خلال خمس دقائق تالية كان قد تم توقيع العقد ، وأحتسي الرجلان ، اللذين أصبحا صاحب عمل ومخدومه ، كأسين من الخمر الخفيف كنوع من التوقيع الودي الحميمي ..
صار " جيفري " مستخدما لدي شركة لا يعرف بعد ما إذا كانت تمارس نشاطا مشروعا أم أنها منشأة مشبوهة !
لكن ما الفائدة ؟ لقد وقع العقد بالفعل :
-" هاك ! تلك دفعة تحت الحساب .. من أجل تبديد المخاوف فقط ! "
قال السيد " موفات " مبتسما وهو يدفع برزمة خضراء متعددة الطوابق ل" جيفري " ، الذي تسلمها منه ، ومسحها بعينيه خلسة محاولا عدم لفت أنظار مديره الجديد ، فتخيل أنها ، وربما كان وهما باطلا ، في حدود ثلاثين ورقة من فئة المائة دولار !
أي ثلاثة آلاف دولار عدا ونقدا .. وهو لم يفعل بعد أكثر من وضع توقيعه القبيح على ورقة واحتساء كأس من الشراب قليل الكحول !

...

غادر الشقة المتعفنة ورزمة النقود محفوظة في جيب بنطاله ، ونسخة العقد الخاصة به ، مطوية بعناية وموضوعة في جيب قميصه العلوي .. وعندما وصل إلي سيارته دلف داخلها سريعا ، متلهفا على عد الأموال التي تلقاها كدفعة تحت الحساب نظير عمله المنتظر في شركة (العالم الآخر : لخدمات الموتى والراغبين في وفاة مختلفة) ، كما تشير لوحة

الشركة التعريفية على باب المقر الفخم .. أنتزع رزمة النقد من جيبه ، وبلل طرف إبهامه ، لئلا تتشابك الأوراق ، وعدها بعناية فوجد أنه كان مخطئا .. لم تكن ثلاثين ورقة من فئة المائة دولار .. بل كانت خمسة وثلاثون !
أي ثلاثة آلاف وخمسمائة دولار عدا ونقدا توضع ، دفعة واحدة ، في جيوبه الخاوية المفلسة !
قاد سيارته وهو يصفر جزلا وسعادة .. وعاد إلي البيت مع التنبيه علىه بالعودة في العاشرة مساء ليقوم بأولي مهام وظيفته الجديدة !
...
احتفلت " ناتالي " والأطفال بالنقود والوظيفة الجديدة ،هرعت إلي المتجر لتشتري قطعة طيبة من اللحم ، وعلبة كبيرة من الصلصة .. وأعدت للعائلة وجبة ضخمة ، وصنعت للأطفال كل أنواع الحلوى التي يفضلونها ، ولنتغاضي عن موضوع الطعام الصحي الليلة يا أطفال .. والعصيدة بالفواكه كذلك مسموح بها الليلة ، والكثير من مقرمشات الذرة وكل ما تحبون يا أطفال .. أكلوا حتى اتخموا ، ثم نعس الطفلان فوق مقاعدهما بسبب الامتلاء والشبع .. شرب الأبوان زجاجة كاملة نخب العمل الجديد المجزي .. وآوي الجميع إلي أسرتهم وهم يفيضون بشرا وسرورا ، وقد حصل كل منهم على وعود براقة تكفيه لبقية عمره !

(٣)

في التاسعة إلا ربعا أيقظه المنبه المضبوط بعناية ، كانت " ناتالي " ، التي أنتفخ كرشها الصغير ، تغط في النوم بجواره ولم يوقظها صوت المنبه .. لكن تحركات الزوج المتعجلة القلقة في الغرفة وهو يرتدي ثيابه ، التي كويت بعناية قبل ساعات ، أيقظتها وجعلتها تفتح عينان ممتلئتان نوما وتسأل " جيفري " العجول بنبرة هادئة :

-" لم العجلة يا عزيزي (ثم نظرت إلي واجهة المنبه المضيئة) إنها لا تزال التاسعة مساء فقط ! "

أجاب " جيفري " وهو يدس ذيل قميصه في بنطاله الأسود النظيف :

-" يجب أن أكون هناك مبكرا يا عزيزتي .. هذه أول مناوبة عمل لي معهم ويجب أن أثبت دقتي والتزامي بالمواعيد ! "

-" هل أعد لك شرابا ساخنا ترشفه قبل خروجك ؟! "

-" لا شكرا جزيلا .. سآخذ علبة من شراب الشعير معي .. لن يستغرق الأمر سوي ساعة واحدة كما أكد لي مستر " موفات " ! "

-" حسنا إذن .. أحتفظ بعينيك مفتوحتان ! "

-" حسنا .. إلي اللقاء محبوبتي ! "

قال وهو ينحني ليطبع قبلة على جبينها الناصع البياض ، ثم هرول ليلحق بموعده .. كان من المتفق عليه أن يتقابلا ، هو و" موفات " ، أمام مقر الشركة في العاشرة مساء .. لكن " جيفري " العجول وصل هناك ، حيث كان الظلام كاسيا تماما تقريبا ، في التاسعة والنصف إلا ست دقائق .. والغريب أنه ، ورغم أنه حضر قبيل موعده بأكثر من نصف ساعة ، إلا أنه وجد السيد " موفات " متواجدا هناك .. لكنه لم يكن بمفرده .. كان بصحبته شابين مفتولي العضلات ، وسيدة نحيلة كالإبرة ، عجوزا شمطاء ، راقدة على سرير متحرك أبيض وموصل إليها عشرات الأنابيب والخراطيم الطبية !

...

-" أوه .. عزيزي السيد " ديغراس " .. قبل موعدك بنصف ساعة يا لك من رجل مهذب ! "

هتف " موفات " ، الذي كان مرتديا حلة أنيقة رصاصية اللون ، ويبدو في خير حال ، وهو يقترب من مخدومه الذي تحول وجهه للون الرمادي حينما رأي المنظر الماثل أمامه .. لم ينطق " جيفري " بحرف واحد .. ولا تزال بقية الصدمة في انتظاره !

ألقي نظرة سريعة على وجه المرأة المستلقية في الفراش ، والتي بدت وكأنها مقيدة بكل تلك الخراطيم والأنابيب إلي السرير ، و" موفات " يقوده من ذراعه ليقترب من المشهد أكثر :

-" دعني أقدم لك الشابين الوسيمين ، ومن أكثر عملائنا أهمية ، " نيل " و" سام هيرناندیز " .. ودعني أيضا أقدم لك بفخر شديد (وأشار نحو السيدة الراقدة بلا حراك فوق الفراش) السيدة والدتهما ليدي " إيفانا هيرناندیز " والتي نقدم لها خدماتنا منذ تسعة أعوام ! "

لم يفهم " جيفري " حرفا .. فكيف يقدمون خدماتهم لامرأة حية ، ومنذ تسعة أعوام كما يقول " موفات " ،وهم أصلا لا يتعاملون سوي مع الموتى ؟!
-" نعم تسعة أعوام .. أي منذ يوم موتها الحزين ! "
أجفل " جيفري " وأحس برجفة في عموده الفقري ، الذي تحول لكتلة من الثلج الصلب .. إنه لم يعد نفسه لذلك !
لا لم يكن أبدا يعتقد أنه سيواجه ذلك ومن أول ليلة له في خدمتهم !
-" هل هي (أبتلع ريقه محاولا العثور على بقية لسانه) هل السيدة ميتة ؟! "
هنا أحمر وجه أحد الولدين ، اللذين بدا أشبه بمقاتلي العصابات ، وزأر معترضا :
-" لا تنعت أمي بالميتة (ثم نزلت دمعة بدت مضحكة للغاية على منظره المخيف خاصة ووشم العصابات يغطي ذراعه المفتول المكشوف) إنها حية في قلوبنا ! "
أن الولد الثاني وكاد ينخرط في نوبة نحيب هو الآخر ، لكن السيد " موفات " أوقفهما بلباقة :
-" عذرا عذرا أصدقائي .. إن صديقنا " ديغراس " عضو جديد في منظومتنا ولا يعرف كثيرا من الأمور ! "
تساءل " جيفري " وهو يتحاشى النظر إلي وجه الميتة :
-" ما هو المطلوب مني بالضبط ؟! "
ابتسم السيد " موفات " وطوقه بأحد ذراعيه ، وهتف وكأنه يمثل مشهدا على المسرح في (برودواي) :
-" لا شيء .. فقط ستقوم بأخذ تلك السيدة الفاتنة في نزهة بشاحنتك اللطيفة ، وستعيدها فجرا لترتاح في غرفتها الطبية الخاصة ! "
أحس " جيفري " بصداع يمزق صدغيه ونبض عرق في رأسه بشكل مؤلم :
-" نزهة ؟! "
-" نعم .. إنه ذكري ميلاد السيدة " إيفانا " المقدسة ولابد من أن تحصل على نزهة خاصة !
أبتلع " جيفري " ريقه وأحس أنه سيصاب بالإغماء :
-" وأين .. وأين أنزهها ؟! "
صفق " موفات " بيديه وصاح سعيدا :
-" يا له من لماح .. لماح وذكي ؟! إنها تحب الهواء العليل ، أعني عندما كانت حية ، ولا أعتقد أنها غيرت عاداتها بعد أن انتقلت إلي العالم الآخر .. أي مكان عليل الهواء مفتوح سيفي بالغرض ! "
صمت " جيفري " فقال " موفات " مناديا اسما معينا :
-" هنتر " ! "
برز رجل عملاق ذو كرش كالدلو ، وأحني رأسه منتظرا أوامر السيد " موفات " :
-" أحمل السيدة اللطيفة وضعها في شاحنة صديقنا " جيفري " .. آه .. و" جيفري " تفضل (قال ثم أنتزع رزمة نقدية من جيبه ومررها إليه) إنه راتبك عن مناوبتك الليلة ..

قولوا وداعا يا أطفال .. سننتظرك فجرا هنا يا سيد " ديغراس " العزيز .. أعتني بالسيدة الحسناء ! "
وهوب ، تبخر " موفات " والأخوين الأحمقين .. ووجد " جيفري " نفسه وحيدا برفقة سيدة ميتة ممددة على سرير في مؤخرة شاحنته ، ومطلوب منه أن يأخذها في نزهة ..
إنها تحب الهواء العليل !
ليلتك سوداء أيها الشمطاء الميتة !
...

تحرك بالشاحنة وهو يشعر بوخز في مؤخرة عنقه .. كان يعلم أن هناك جثة مضي على وفاتها تسع أعوام ، وبقيت على قيد العالم ، وليس الحياة ، عن طريق أجهزة التنفس والإعاشة الصناعية الموصلة إليها ، هذه الجثة تقبع على بعد أمتار قليلة منه ، خلفه .. أصابه هذا بالتوتر وتخشبت يداه وهو ممسك بعجلة القيادة .. إنه مطالب بأن يأخذها في نزهة !
خطرت له فكرة مرعبة وهو يقود الشاحنة .. ماذا لو أستوقفه شرطي الآن وأكتشف أنه يحمل جثة في مؤخرة سيارته ؟!
ماذا سيحدث له ؟!
ركبته الريبة وحلت عليه لعنة التردد .. يا ربي يا ربي !
إنه يريد أن يعمل ويكسب ما يقيم أود أسرته الصغيرة .. لكنه لا يود أن يسجن !
لا لا إنه لا ينوي أن يدخل السجن ولو ليوم واحد !
خطرت علي باله فكرة أراحته جدا .. أخرج هاتفه النقال وطلب رقما ما :
-" دليل الهاتف القومي ! "
-" مرحبا .. كنت أبحث عن هاتف وعنوان شركة أعمال معينة من فضلك ! "
-" قم بإملاء الاسم من فضلك! "
-" شركة العالم الآخر .. لخدمات الموتى والراغبين في وفاة مختلفة ! "
-" آه نعم .. رقم الهاتف هو ..... والعنوان ..... "
-" حسنا جدا : هل لي بسؤال من فضلك يا آنستي ؟! "
-" بالطبع ! "
ثم سأل العاملة السؤال الذي كان يؤرقه ويقض مضجعه :
-" هل هي شركة قانونية ؟! "
-" أرجو عفوك سيدي! "
-" هل شركة العالم الآخر هذه شركة تمارس نشاطا قانونيا ! "
" ليس من المفترض أن أجيب على سؤال كهذا .. لكن جميع الشركات والمؤسسات التي تسجل في دليلنا القومي يجب أن تكون مرخصة ومجازة قانونيا ! "
أغلق الهاتف :
-" شكرا للسماء ! "

إنه لم يتورط في نشاط مشبوه غير قانوني إذن ، تسللت الراحة إلي صدره حتى كادت تنسيه الجثة الغير متحللة التي ترتاح خلفه !
فجأة أصابته صدمة ، وكاد ينحرف بالسيارة انحرافا خطرا ، ويجعلها تنقلب وتتدحرج ، وكانت أسباب هذه الصدمة منطقية تماما .. لقد سمع نقرا على المعدن الفاصل بين مؤخرة الشاحنة وكابينة القيادة .. ثم سمع صوتا ضعيفا واهنا ينادي بنفاد صبر :
-" أنت يا أحمق .. يا أحمق يا من تقود العربة ! "
تخشب " جيفري ديغراس " ، وكاد يصطدم بشجرة عملاقة على جانب الطريق أمامه .. لكنه أنحرف مبتعدا في اللحظة المناسبة تماما ، بقي للحظة يستنشق الهواء ليسترد أنفاسه الهاربة .. ثم ببطء غادر مقعده أمام عجلة القيادة ليري أية مصيبة تنتظره في الخلف !
...

فتح باب الشاحنة الخلفي ببطء وحذر ، كان مذعورا مما يمكن أن يجده في مواجهته حين يفتح الباب ، ومما يمكن أن يكون في انتظاره ..
لكن لم يكن بانتظاره أي شيء مما تصور .. ولا أي شيء على الإطلاق !
فالمرأة ، الميتة ، المغطاة بالخراطيم والأنابيب كانت مستلقية في فراشها الضيق الخفيف مقفلة العينان بلا حراك ، وكان من الصعب تصور أنها تحركت منذ لحظات لتدق على الجدار المعدني الفاصل بينهما ، أو أن لديها القدرة على سبه ونعته بالأحمق .. جميل !
لكن من الذي دق وزعق مناديا إياه منذ لحظة إذن ؟!
حك " جيفري " شعره متحيرا ، لقد سمع كلا الصوتين بأذنيه ، اللتين تزنان من الصداع الآن ، صوت النقر وصوت النهر ، لكن العجوز الميتة غير قادرة ، بكل تأكيد ، على إحداث أي منهما ، ولا على فعل أي شيء على الإطلاق .. فمن أحدثهما إذن ؟!
كان " جيفري " يقف متأملا في الجسد الراقد بلا حول ولا قوة حين دق جرس هاتفه المحمول فجأة ، لم يكن في وضع يجعله يتحمل أقل ضغط .. فأنتفض حين باغته الصوت الرقيق المرتفع .. كان حلقه جافا تماما حين تساءل عبر الأثير :
-" من ؟! "
-" أنه أنا يا صغيري .. ناتالي .. ماذا بك ؟! "
الغريب أنه لم يلاحظ الاسم الظاهر على الشاشة بجوار الرقم (حبيبة قلبي) لكن ليس هذا مهما على الإطلاق :
-" نعم .. هل الأولاد بخير ؟! "
قالت الزوجة التي كانت تجلس على حافة السرير في تلك اللحظة ، تداعب قدميها وتقوم بإعادة طلاء أظافرهما :
-" هل أنت على ما يرام ؟ لقد صحوت من نومي على صوت الهاتف ووجدت أنك طلبتني ست عشرة مرة في ربع ساعة .. هل كل يسير معك سيرا حسنا ؟! "
بهت " جيفري " وسألها بصوت مختنق :
-" أنا ؟ لم أطلبك بتاتا أنت التي فعلت ! "
ضحكت " ناتالي " التي اعتقدت أنها واحدة أخري من مداعباته :

-" " جيفري " هيا لا تكن سخيفا .. لما طلبتني هل أنت بخير ؟! "
بخير ؟!
لا طبعا بصوت بح أكثر هتف " جيفري " مستنكرا :
-" أقول لك أنني لم أطلبك مطلقا منذ غادرت البيت ! "
هنا غضبت الزوجة حقا :
-" تفقد هاتفك ! "
أمرته فلم يفهم مقصدها :
-" ماذا ؟! "
" أقول لك تفقد هاتفك .. إنني لا أكذب عليك !"
خضع متمنيا أن تكون كاذبة أو تائهة بسبب الإفراط في الطعام وغيبوبة النوم :
-" ها .. ماذا وجدت ؟! "
بسرعة فتح سجل المكالمات .. المكالمات الصادرة .. نعم !
" ناتالي " ..
" ناتالي " ..
حبيبة قلبي !
ها هي ذي ، والهاتف يسجل أنه أتصل بها ، في الساعة الماضية ، ستة عشرة مرة !
-" يا إلهي !"
تردد صوته المذهول عبر الأثير ، فالتقطته أذنا الزوجة وصاحت قلقة :
-" " جيفري " .. ماذا هناك .. جيفري ! "
لكن " جيفري " لم يجب .. لأن التليفون قد سقط منه على الأرض ، وكان لذلك سبب وجيه جدا .. فقد فتح عينيه ليجد تلك المرأة ، التي يسمونها ليدي " إيفانا " ، المرأة الميتة ، بكل تلك الخراطيم الموصلة بجسدها النحيل .. تقف في مواجهته وتنظر إليه مباشرة وخراطيمها تتدلي منها كأذرع إخطبوط !
...
دق الجرس ثانية .. فتح عيناه بغتة ..كان غافيا على المقود .. غاف ومقود السيارة يدور بين يديه !
-" يا إلهي .. يا إلهي ! "
كانت العربة تنزلق على الطريق ،كيف حدث هذا .. كيف راح في النوم وهو يقود الشاحنة ؟!
أنحرف يمينا .. لا لا .. يمينا سيصطدم بحواجز الطريق ..
لا لا .. استديري استديري
-" استديري عليك اللعنة ! "
أدار المقود بتعسف .. أستديري .. عليك اللعنة !
ستصطدم بحاجز الطريق ..
ستصطدم ..
ستصطدم !

دارت مبتعدة .. تنفس " جيفري " الصعداء ..
أخيرا نجا من الخطر !
هدأ سرعته تدريجيا ، حتى توقفت الشاحنة على جانب الطريق الأيمن ..
سيحصل على مخالفة مرور حتما .. لكنه كاد يفقد الوعي ، وهو يريح رأسه فوق مقود السيارة ويغمض عينيه بشدة ..
رن الهاتف اللعين ..
أنتفض وفتح عينيه ..
دق الهاتف الثانية فأخذ يبحث عنه حوله ..
عثر عليه أخيرا في جيب سترته ، كان رأس الهاتف بارزا من جيبه لكنه لم يراه قبلا بسبب ارتباكه واضطرابه ..
تناوله بيد وهو يفرك عينه بيده الأخرى .. كان " موفات " هو المتحدث :
-" " جيفري " .. عزيزي " جيفري " .. كيف حالك أنت والليدي الحسناء ! "
-" اللعنة عليك وعليها ! "
هتف " جيفري " ، وهو يصر على أسنانه غيظا وغضبا ، آتاه صوت رئيسه وهو يضحك في الناحية الأخرى ، لم يغضب الرجل وهذا في حد ذاته مثير للغيظ أكثر :
-" لا تشغل بالك .. أفهمك ! إنها متاعب الليلة الأولي في العمل ! "
صمت " جيفري " بسبب عجزه عن العثور على رد يلاءم برود هذا الرجل المثير للغيظ والحنق :
-" كيف حالك ؟ ابتسم (ها ها ها .. أخذ موفات يضحك بسماجة) أري أن السيدة " إيفانا " قد أتعبتك قليلا هذه الليلة ! "
صر " جيفري " على أسنانه ثانية وتساءل بغيظ :
-" ماذا أفعل الآن ؟! "
-" استمروا في نزهتكم .. سننتظركم فجرا ! "
أغلق " موفات " الخط وهو يضحك .. كاد " جيفري " يصاب بالفالج .. لكن العجيب أن بقية الليلة مرت على خير !
قضي الاثنان ، السائق الحي والسيدة الميتة ، ليلتهما يدوران في الشوارع يتنسمان الهواء العليل .. وقد أقدم المستخدم الجديد على عمل خارج الجدول المحدد له فأصطحب حمولته الكريهة إلي الغابة !
كانت ثمة غابة صغيرة من السرخسيات في طرف المدينة الجنوبي ، وأوقف الشاحنة هناك ، ثم ترك السيدة وشأنها مستلقية في المؤخرة ، وذهب ليتمشي حول العربة المتوقفة .. ثم بعد نصف ساعة عاد إلي الجلوس أمام عجلة القيادة ، وتحرك باتجاه مقر شركة العالم الآخر .. وهناك كان مخدومه مستندا إلي سور منخفض ، وهو يدخن السيجار وفي يده علبة معدنية يرشف منها مشروب ليكور خفيف بطعم التوت الأحمر .. وإلي جواره يقبع مصارعي الشوارع يتبادلان اللعب بأداة صغيرة أظهرت بوضوح أنهما يتمتعان بأجساد أفيال ضخمة وعقول طنان ضئيل !

انتهت الليلة إذن على خير ، ورغم المنغصات القليلة التي عاني منها الليلة ، إلا أن " جيفري ديغراس " عاد إلي منزله ، وفي جيبه فلوس جديدة حاذها بسبب أنه نال رضا الأخوين " هرناندیز " ، وإعجابهما بالخدمة المميزة التي قدمها لأمهما .. أو لجثتها الحبيبة !

كانت بشائر بواكير الصباح قد بسطت جناحيها على المدينة حينما عاد الزوج إلي بيته وزوجته وأولاده ، كانت " ناتالي " هناك مستيقظة واعية ومستاءة .. فقد تلقت اتصالا غريبا للغاية قبل عودة " جيفري " بدقائق ، اتصالا من والدة " جيفري " .. ولم يكن غريبا أن تتصل أم ببيت ابنها .. لكن من الصعب أن يحدث ذلك خاصة إذا كانت قد مرت خمس سنوات .. على وفاة تلك الأم !

(٤)

-" مزحة سخيفة ! "
حاول " جيفري " تهدئة زوجته الثائرة فقدم لها تلك الحجة البسيطة الواضحة .. أبعدت " ناتالي " ذراعه الممسكة بها بجفاء ، ثم قالت بشبه صراخ وهي تقترب من الهاتف الذي بدا شكله مخيفا الآن :
-" ومن يعرفنا في لويفيل ليمزح معنا ؟! "
لم يفهم " جيفري " في البداية ، لكنه سرعان ما أدرك مقصد زوجته .. إن الاتصال السخيف الذي تلقته وارد من مدينة (لويفيل) التي كانت تقيم فيها أمه قبل وفاتها المفاجئة !
-" هناك كثير من المعارف الذين كانوا على صلة بأمي قبل وفاتها .. ولابد أن أحد شبابهم الفاسدين أراد مداعبتك بتقمص شخصية أمي ! "
ابتسمت " ناتالي " بمرارة ، فقد كان يسعدها كثيرا تقبل هذا التفسير فقط لولا :
-" شباب فاسد له نفس صوت أمك وتعبيراتها ونبراتها .. ويستخدم كلمتها المفضلة " ملتوي ملتوي " في كل جملة ؟! "
تنفس الزوج بصعوبة ، كان متعبا من التجربة التي مر بها مع تلك الشمطاء الميتة " إيفانا " .. لقد عاد إلي البيت ليستريح لا ليتلقي اتصالات من أموات !
مسح " جيفري " جبهته الساخنة ليهدأ من روعه :
-" أنظري .. لن أتجادل معك .. إنها مزحة سخيفة وهذا يكفي .. أنسي الأمر ! "
تركها تصر على أسنانها غيظا، وتحول ليصعد السلم ويذهب إلي غرفته ويلقي جسده المكدود على فراشه ، ولتري زوجته " جورج واشنطن " نفسه إذا أرادت !
لكنه ما إن أدار رأسه حتى دق جرس الهاتف بإلحاح ، جرس الهاتف الثابت وليس هاتفه الخلوي الذي يقبع في جيبه !
هزت " ناتالي " رأسها بمعني :
-" لن أرد عليه مهما حدث ! "
وقع عبء إجابة الهاتف على عاتقه ، فأتجه نحوه بتردد ، بينما الأخير يعزف سيمفونيته بإلحاح متزايد .. ألتقط السماعة ووضعها على أذنه :
-" مرحبا ! "
سمع نقيقا متصلا .. ثم فجأة !
أفلت السماعة من يده وأسقطها عن أذنه .. أحمر وجهه وشد على أذنه وصرخ متألما :
-" جيفري جيفري .. ماذا حدث لك ؟! "
هرعت " ناتالي " المذعورة لتري ما حل بزوجها .. سقط أرضا وهو يتلوي ألما ممسكا بأذنه اليمني !
انحنت عليه ، وأخذت تحاول في هلع أن تقلبه نحوها لتري ماذا حدث له ، صرخ مرة ثانية ثم بدأ يهدأ :
-" جيفري .. جيفري .. ماذا بك .. جيفري تحدث إلي ! "

أستعاد الزوج قدرا من وعيه وبذل جهده ليجلس ثانية :
-" أنا .. أنا بخير ! "
قال وهو لا يزال ممسكا بأذنه ،أمسكت " ناتالي " يده ورفعتها ونظرت إلي أذنه :
-" ماذا أصاب أذنك ؟! "
أجاب " جيفري " وهو يحاول إبعاد يدي زوجته عن أذنه التي بدا أنها تؤلمه بشدة :
-" لا شيء .. إنها بخير !"
نظرت إليه للحظة قبل أن ترنو باتجاه سماعة الهاتف المتدلية بعد أن أفلتت من يد " جيفري " ولا زال نقيق مسموع يصدر عنها :
-" من كان المتحدث ؟! "
-" ها .. لا أحد .. لا أحد ! "
كان من الواضح أن الزوج يكذب ، لكن " ناتالي " تظاهرت بتصديقه .. ساعدته على النهوض ، وحاولت أن ترافقه إلي الدور العلوي لتساعده على الدخول إلي الفراش ، لكنه رفض مساعدتها بحزم .. تركته يصعد ، وبعد دقيقة كان الأطفال يهبطون وعيونهم مثقلة بالنوم متسائلين عن الإفطار !
قبلتهم " ناتالي " واصطحبتهم معها إلي المطبخ ، لتعد لهم الإفطار، وليتناولوه هناك كما تعودوا .. جلس الأولاد حول المنضدة يتثاءبون ، بينما اتجهت أمهم نحو الثلاجة لتخرج البيض واللبن لإعداد الطعام .. لكنها ما إن فتحت باب الثلاجة حتى دوت صرخاتها المذعورة .. فقد كان ثمة شيء مخيف بداخل الثلاجة !
...
أسترخي السيد " موفات " فوق مقعده الوثير .. كان يدخن باستمرار ويضحك بصوت مرتفع على شيء ما ، وأمامه جلست مساعدته مرتدية نظاراتها السميكة ..
قالت " جورجينا " وهي تعدل وضع النظارة على أنفها ، مع أنها كانت لا تحتاج إلي تعديل :
-" سيدي .. لدينا ثلاث مهام الليلة .. أتحب أن أذكرك بهم ؟! "
لم يجب " موفات " بلسانه ، ولكنه رفع حاجبيه علامة التشوق إلي أن يعرف :
-" سنقوم الليلة بدفن السيد " سارويان " فوق كومة الحطب كما أراد .. ولدينا عملية تحنيط في العاشرة مساء للسيدة " باربرا " ، ووضعها في تابوتها الفرعوني .. وبالطبع لدينا نزهة السيدة " إيفانا هيرناندیز " ! "
قطب السيد " موفات " بدهشة ، وأخرج سحابة من الدخان من منخريه وتساءل مولولا :
-" ألم ننزه تلك الجيفة بالأمس فقط ؟ كم نزهة نحن مدينون لها بها ؟! "
ابتسمت " جورجينا " ابتسامة بلا معني ، وأجابت :
-" نحن نقوم ، بحسب اتفاقنا مع ولديها ، بتنظيم ثلاث نزهات سنوية لها .. هذا عدا حفل ليلة الأموات الذي تحضره بصفتها زبونا دائما لدينا ! "
أشاح " موفات " بيده وقال غاضبا :
-" وقد حصلت على نزهتها الأولي أمس بمناسبة عيد ميلادها .. "
قاطعته المساعدة وهي تكرر حركتها العصبية بتعديل وضع نظارتها دون داعي :

-" واليوم هو ذكري زواجها الخامسة والخمسين .. ولها نزهة خاصة أخري الليلة ! "
-" آه .. نسيت أن يومي مولدها وزواجها متتابعين .. المهم من سنكلفه بنزهة الليدي " إيفانا " .. ولا تقولي لي الولد " ديغراس " فقد حطمت أعصابه بما يكفي الليلة الماضية ! "

ضحكت " جورجينا " لأول مرة ضحكة كريهة للغاية ، وقالت وهي تسعل :
-" لا لا .. سنعثر على سائق آخر لليدي ، أما عزيزنا " ديغراس " فسيقوم بالمساعدة في عملية التحنيط ونقل التابوت الفرعوني إلي موقع الدفن ! "

كانا قد وصلا إلي اتفاق فتبادلا الابتسامات .. وبدون كلام زائد أخرجت المساعدة هاتفها المحمول ، وطلبت رقم المستخدم " جيفري ديغراس " لتكلفه بمهمة الليلة .. غير عالمة بما يجري في بيته الآن ! "

...

في الرف العلوي تناثرت علب الجبن المطبوخ الملآنة والفارغة ، التي تحتفظ بها الزوجة لسبب لا يعلمه إلا الله .. وأسفلها كانت عصائر فاكهة ، مضي على وجودها في الثلاجة ، دون أن تنجح في إغراء الأطفال بشربها ، بضعة أيام .. ووسط الآنية الزجاجية والبلاستيكية الشفافة ، التي تترقرق فيها عصائر الخوخ والتوت البري ، تحرك جسم ضخم له ذيل طويل مكشوف ، بلا فراء فوقه .. وينسل من بين الأوعية ، دون أن يبذل أي جهد من أجل إخفاء نفسه عن الأعين التي تتطلع إليه بخوف ودهشة .. فأر !

صرخت " ناتالي " وتراجعت إلي الخلف بهلع وطريقة غير محسوبة ، فارتطمت بالمنضدة خلفها ، وسقطا معا على الأرض .. نهض الطفلين صارخين مولولين ، في اللحظة التي وثب فيها الفأر خارج الثلاجة وأختفي .. لم يشاهد الطفلان الفأر لكنهما أصيبا بالذعر بسبب صراخ أمهما ، وارتطامها وسقوطها ، بصوت مدوي ، على الأرض !

وعلى السلم ظهر الزوج وهو يجري مفزوعا مهرولا ، وعلى وجهه علامات الذعر الشديد وصرخ مناديا مستفسرا :
-" ناتالي ماذا حدث ؟! "

هرع نحو زوجته وساعدها على النهوض .. أمسكت الزوجة ظهرها ، وتأوهت وبدا أنها تضررت بشدة جراء السقوط الانقلابي فوق المنضدة :
-" آه .. آآآآ ! "

صرخت محتجة ، و" جيفري " يحاول مساعدتها على السير، بعد أن لف ذراعيه ، بطريقة عفوية ، حولها :
-" ماذا .. ماذا حدث ؟! "

لم تجب الزوجة التي كان صدرها يعلو ويهبط وتنفسها غير المنتظم يؤلم رئتيها :
-" فأر .. فأر في الثلاجة ! "

كاد " جيفري " يضحك رغم الذعر الذي يعانيه وهتف متسائلا بدهشة :
-" ماذا ؟! "
-" فأر .. أقول لك فأر ! "

ردت " ناتالي " بصوت متقطع متألم :

-" أين ؟! "
-" في الثلاجة (أجابت الزوجة ثم رفعت ذراعها ، حيث أجلسها زوجها على أحد مقاعد المطبخ وأشارت نحو الثلاجة التي تُرك بابها مفتوحا على آخره) في الثلاجة ! "
نظر الأب نحو طفليه اللذين كانا يقفان ، بالقرب من المنضدة المقلوبة ، تعلو وجهيهما علامات الرعب ، مستفهما لكنهما ، وفي نفس اللحظة ، هزا رؤوسهما نافيين أي معرفة لهما بما تدعيه أمهما !
هدأت أنفاس " ناتالي " قليلا ، وأندفع الزوج نحو الثلاجة .. تفقد المحتويات المحفوظة هناك فلم يجد شيئا غريبا أو منفرا ، أو في غير موضعه .. عجيب أن تدعي الزوجة وجود مخلوق غريب في الثلاجة وكل ما بداخلها مرتب ومنظم تماما ..
-" اهدئي .. اهدئي حبيبتي ! "
ردد " جيفري " وهو يلمس شعر زوجته برقة لكنها صرخت فيه بوحشية :
-" أبحث عنه .. أبحث عنه وأقتله !"
ارتعشت ولوحت بأصابعها والهستيريا تلوح في عينيها :
-" اهدئي .. اهدئي !"
صرخت فيه آمرة بأن يبحث عن الفأر المزعوم ويقتله ، حاول جاهدا أن يهدئ روعها مظهرا لها أنه مستعد للقيام بأي شيء يرضيها .. أخذ يدور في المطبخ باحثا عن الفأر وهو واثق من أنه لا توجد فئران هنا وأن زوجته تهذي ..
لم تكد الزوجة تسترد أنفاسها حتى دق جرس الهاتف المنزلي ، صعق الزوج لوقع المفاجأة ، التي جاءت في وقت غير مناسب إطلاقا ، وأرتبك وهو يقترب من الهاتف ويتناول السماعة ويضعها على أذنه :
-" نعم؟! "
-" مرحبا سيد " ديغراس " .. إنني الآنسة " هيل " ! "
نعم مساعدة " موفات " اللعينة .. بفتور أجاب :
-" مرحبا ! "
-" مرحبا .. لدينا مهمة عمل أخري الليلة .. نرجو حضورك إلي مقر الشركة في التاسعة والنصف مساء !"
بصوت مبحوح هتف وهو يستدير للحظة وينظر إلي زوجته المنهارة فوق مقعدها :
-" الليلة ؟! "
-" نعم .. لا تتأخر ! "
-" نعم ولكن .."
لم تعطه اللعينة فرصة لإكمال اعتراضه ، وأغلقت الخط في وجهه ببساطة ..
كانت " ناتالي " لا تزال ترتجف فوق مقعدها والطفلان يحفان بها ..نظر إليها " جيفري " ثم نظر إلي الساعة المثبتة فوق الجدار .. كان الوقت لا يزال مبكرا .. مبكرا جدا !
بذل " جيفري " جهده حتى تمكن من تهدئة زوجته ، وساعدها في إعداد وجبة خفيفة للطفلين .. ثم تركهما يأكلان وأمهما تجلس بجوارهما متظاهرة بأنها تشاركهما الطعام .. لكنها في الواقع لم تكن تفعل !

...
ظل " جيفري " نائما حتى وقت متأخر ، وأستيقظ وقد بدأت الشمس رحلة إيابها الطويلة .. تكلل جو الغرفة باللون الأحمر ، وظهرت " ناتالي " على الباب بشعرها الملموم على هيئة ذيل حصان ثخين وبدأت تحدث زوجها قائلة :
-" هيا يا عزيزي .. لقد أعددت لك عشاء طيبا .. سنأكل ثم تجلس مع الأطفال قليلا قبل أن يناموا ! "
أندهش " جيفري " من الساعات الطويلة التي مضت عليه وهو نائم، وإن لم يكن ذلك مستغربا بعد الليلة السوداء التي قضاها بين براثن الليدي " إيفانا " .. وهم جالسا فوق السرير وهو يفرك عينيه :
-" كم الساعة الآن ؟! "
-" السادسة إلا ربعا ! "
إذن فقد بقيت ساعات قليلة على موعد العمل ..
نهض من فوق فراشه ببطء ، وكان يبدو وكأنه يعاني آلاما في عظامه ..
هبطا معا متشابكي الأذرع ، وجلسا مع الولدين وتناولوا العشاء .. ولكن لم يكد العشاء ينتهي حتى دق الجرس المزعج ثانية .. جرس الهاتف !
أسرعت " ناتالي " تتناول السماعة ، وتسمعت للحظة قبل أن تقول لزوجها وهي توجه السماعة نحوه :
-" إنه لك ! "
على الطرف الآخر كانت المساعدة " جورجينا هيل " تتعجل السيد " جيفري " وتطلب منه الحضور لتأدية مهمة عاجلة !

(٥)

أرتدي " جيفري " ثيابه شاعرا بالحنق ، وتوجه نحو مقر الشركة منتظرا الأسوأ .. لم يكن السيد " موفات " أمام مقر الشركة هذه المرة ، بل كان بالداخل .. وتبعا للأوامر المعطاة لها قادته السكرتيرة ، فور وصوله ، إلي مكتب الرئيس ليخبره بأمر هام !
لم تمر على " جيفري " في الداخل سوي نصف لحظة .. خرج بعدها حاملا عنوانا في جيبه كلفه السيد " موفات " بالذهاب إليه فورا ..
كان العنوان في حي مجاور ، ولن تستغرق الرحلة إليه ، في أسوأ الأحوال ، إلا ثلث الساعة .. قاد " جيفري " شاحنة الشركة بسرعة متفاديا الطرق المزدحمة قدر طاقته حتى وصل إلي العنوان المطلوب في وقت أقل مما خطط له بكثير ..
وهناك وجد نفسه في حي راق ، وفي قلب شارع هادئ اصطفت على جانبيه مساكن شاهقة فاخرة ، تحف بها الحدائق المنمقة الخاصة .. وتوجد في جراجاتها أغلي أنواع السيارات الفارهة .. دق المستخدم لدي شركة (العالم الآخر) جرس الباب في العنوان المحدد ، ومرت لحظة ، ظهرت بعدها خلف فتحة الباب ملامح غريبة .. كان شاب الذي تولي فتح الباب .. لكنه شاب غير عادي أبدا !
طويل نحيف ، شديد النحافة ، ممتقع اللون ضامر الوجنتين ، متساقط شعر الرأس ، وبدا أنه مصاب بكافة العلل التي في الكون .. لكن الغريب أنه كان حي .. لا دلائل على وجود جنازة أو ميت هنا .. فلما يا تري أرسلوه إلي هذا العنوان ؟!
-" أدخل ! "
قال له الشاب بأدب ، وهو يشير إليه بذراعه بوهن شديد .. أبتلع " جيفري " ريقه وقال بصعوبة :
-" مساء الخير .. أنا " جيفري ديغراس " مندوب ... "
قاطعه الشاب الذي بدا أنه ليس لديه استعداد لسماع المزيد :
-" نعم نعم .. أعرف ! "
نظر إليه مستفهما فقال الشاب :
-" حسنا .. هل عرفوك بمهمتك هنا ؟! "
طبعا كان واضحا أن السيد " ديغراس " يجهل تماما المهمة المكلف بها هنا الليلة ، ولم يحتاج حتى لهزة رأس ليوضح ذلك :
-" حسنا سأشرح لك .. إنني سأموت الليلة ، وأنت ستكون شاهدي على أنني لم أتعرض لهجوم ولا حادثة قدرية ولا جريمة قتل ! "
لم يفهم " جيفري " ، واتسعت عيناه اللتين لاح فيهما الجهل التام ، فقال الشاب مقدما الحل النهائي :
-" سأموت الآن .. سوف انتحر .. وأنت شاهدي ! "
نظر إليه " جيفري " مصعوقا ، وضرب الرعب قلبه .. لكن المزيد من الرعب كان بانتظاره .. لم يعطه الشاب فرصة ليعبر عن رأيه في الأمر أو يعلن رفضه أو قبوله :
-" ماذا .. "

لم يستطع إكمالها لأن الشاب أنتزع ، بشكل مباغت للغاية ، مسدسا محشوا من جيب بنطاله ، الذي تهدل عليه .. ألصق الفوهة بصدغه ، وأطلق الرصاصة الأولي والأخيرة .. سقط الشاب ، الميت ، أرضا ، وأرتطم بها بصوت ضعيف ، نظرا لوجود أبسطة سميكة تغطي كل بوصة من الأرضية .. تمدد على الأرض بلا حراك وصدغه مزين بثقب عميق قبيح .. بينما وقف " جيفري " مذهولا ووجهه وأعلى صدره ، ويداه اللتين رفعهما بشكل غريزي ليحمي وجهه ، كلها مخضبة بالدماء وغارقة بها !

...

أخذ السيد " موفات " يضحك بلا توقف .. وصل هو وسكرتيرته الحيزبون " جورجينا " فور تلقيهم اتصال مذعور من " جيفري " !

وقف عند باب البيت الكبير الثري ، ووجهه ويداه وأعلى بنطاله الجينز ملطخة ببقع دموية ظاهرة جدا للعيان .. كان في حالة عصبية سيئة للغاية وقد أنتظر وصول رئيسه في العمل بصبر نافد وغضب شديد ..

كان مرتديا لبذلة سهرة رمادية اللون لامعة ، وبابيون من نفس اللون ومن فمه يتدلي سيجار فخم ، ويبدو على وجهه سعادة ومرح كفيلان باستفزاز الصخر نفسه :

-" ها ها ها هل أخافك هذا الصبي الشقي ؟! (أنتزع السيجار من فمه ودخل في إثر " جيفري " إلي البيت الساكن) معذرة معذرة ها ها ، إنه صبي مسلي ومتعب .. وقد نال ما يستحقه بالضبط .. وربما أقل قليلا ها ها ! "

واصل الضحك وكأنه أسطوانة مسجلة لا تملك نغمة أخري مغايرة :

-" هل تري ما حدث شيء مثير للضحك .. عليك اللعنة ؟! "

هتف " جيفري " حانقا صارخا في وجه " موفات " ، الذي لم تهتز فيه شعره عندما رأي جثة الفتي الشاب الممددة بالقرب من المدخل اللامع المصقول ، لكنه حرص على خفض نبرة صوته في الجملة الأخيرة ، فهو ليس مستعدا لفقد عمله بعد ، مظهرا بجلاء أنه يحس بأن ما جري عمل سخيف وأنه تعرض للخيانة والخداع :

-" لماذا لم يخبرني أحدكم بأن هذا المخبول سينتحر ؟! "

رفعت " جورجينا " حاجبيها معترضة ، بينما أنفتح " موفات " ضاحكا من جديد :

-" معذرة صديقي .. ماذا كنت ستفعل لو أننا أخبرناك ؟ كنت ستصاب بالذعر حتما وستفسد المهمة الصغيرة اللطيفة ! "

يا الله .. خنزير لا إحساس لديه ذلك المسمي " موفات " !

-" أو أرفض القيام بهذا العمل القميء .. ذلك حقي ! "

صمت " موفات " ، وتوقف عن الضحك ، ونظر لوجه " جيفري " بتمعن ، قبل أن يُقدم على حركة تدل على معرفته العميقة بطبيعة الجنس البشري .. دس يده في جيبه وأخرج رزمة نقدية مرآها يجلب السعادة للثكلى نفسها ، ودفعها إلي يد المستخدم الساخط :

-" تفضل .. هذا نصيبك من أجر هذا العرض المسلي الذي قدمه صديقنا تقدست روحه هنا ! "

نظر " جيفري " بتردد إلي رزمة النقود ، ومسحها بعينين كعيني الصقر محاولا التوصل لتقدير تقريبي لجملتها :

-" ما هذا ؟! "
عاد " موفات " للضحك ، وبدأ يقترب من الجثة الساكنة ، التي لم تحظي حتى اللحظة بأدنى اهتمام منه ولا من مساعدته ، وقال مجيبا :
-" هذا حقك .. أجرك العادل عن عملية الليلة الأولي ! "
لم يفهم " جيفري " حرفا فأوضح له رئيسه بسرعة :
-" لقد حصلنا على خمسة آلاف دولار مقابل أن نقدم للفتي مساعدة كافية تهيئه نفسيا للانتحار ، وعملية الشهادة القانونية .. سيأخذ الشركاء ثلاثة آلاف دولار .. وأنت بصفتك شاهده القانوني فلك ألفان دولار عدا ونقدا ! "
تبلبل ذهنه ، فنفض رأسه وألقي نظرة خاطفة على الجثة التي بردت تماما الآن وصارت ككتلة من الثلج الأبيض الميت :
-" لماذا أرسلتموني لأشهد موته .. لما لم يفعلها بنفسه كيفما يروق له وهو بمفرده ! "
تنحنحت " جورجينا " ومدت يدها لتعدل من وضع قعر الكوب ، نظارتها ، على أنفها ، بينما قال " موفات " مفسرا كل شيء :
-" لقد كان مريضا بداء عضال ولا سبيل لشفائه .. لقد كان يتعذب من جراء ذلك ، وقرر أن يضع حدا لحياته لكنه لم يكن يملك الشجاعة الكافية لذلك .. وقد حضر إلي شركتنا طالبا المساعدة فقمنا بتقديم المساعدة اللازمة له ! "
-" أي نوع من المساعدة ؟! "
تساءل " جيفري " متوجسا :
-" قمنا بتدريبه على الانتحار ، وتحديد الوسيلة المناسبة له ، الوسيلة الأقل إيلاما .. زودناه بالمسدس ، وحددنا له موعد التنفيذ على أن نقوم بالإشراف على ترتيب جنازة جديرة به ، وغير اعتيادية إطلاقا بعد موته .. ولم يكن ينقص سوي شاهده القانوني وقد أديت أنت هذا الدور على خير وجه .. أليس كذلك يا " جورجي " ؟! "
أومأت المساعدة برأسها ، وابتسمت ابتسامة قبيحة ، فسأله " جيفري " أخيرا السؤال الذي كان يعصف برأسه منذ ساعة :
-" ولماذا يحتاج لمن يشهد موته .. فليذهب إلي الجحيم بمفرده ! "
هنا عاد " موفات " يضحك من جديد فرمقه مخدومه بغل :
-" لأنه لو مات بمفرده فيمكن اعتباره ضحية جريمة قتل .. وهو يريد أن يثبت أنه مات منتحرا ، لئلا تحصل زوجته التي هجرته على مليم من وثيقة التأمين الهائلة على الحياة .. لذلك فلابد من شاهد على عملية الانتحار! "
-" آه ! "
ثم راودته فكرة مزعجة للغاية :
-" هل سأخضع لتحقيقات ؟! "
-" مطلقا ! أنت شاهد انتحار ليس إلا .. وما عليك إلا أن تبرز لرجال الشرطة بطاقة عملك الخاصة بشركة العالم الآخر ، وسيتفهمون كل شيء .. إنها عملية قانونية ونظيفة مائة بالمائة ! "

أخيرا فهم " جيفري " ما يجري هنا ، لقد استغلوه وجعلوا منه أحمق .. لكن الحقيقة أن ألفي دولار ليست أبدا أجرا سيئا للعب دور الأحمق لبضع دقائق !
-" ماذا سنفعل الآن ؟! "
سأل " جيفري " فتثاءب " موفات " ود قائلا بروتينية :
-" ستبقي حسنائنا " جورجي " مع الجثة حتى وصول الشرطة ، وتُنهي الأمر معهم .. أما أنت فستأتي معي فلدينا مهمة أخري ! "
أرتعب " جيفري " ، وقد تخيل شكل المهمة الأخرى ، بعد أن شهد بعينيه عملية انتحار ، وتلوثت ثيابه بالدم ، فسأله متوترا :
-" ما هي تلك المهمة ؟! "
بلا مبالاة أجابه رئيس الشركة :
-" لدينا الليلة حفل تحنيط جماعي .. سننقل بعض زبائننا ليتم تحنيطهم ، ثم سنقوم بدفنهم في التوابيت الفرعونية المسروقة .. أنت لم تري معبد العالم الآخر بعد ؟! "
أبتلع " جيفري " ريقه ، الذي لم تعد به قطرة لعاب واحدة .. وهم بأن يسأل معترضا :
-" وثيابي .. "
لكن " موفات لم يمهله ، جذبه من ذراعه وقاده إلي الشاحنة .. ركب الرئيس أمام عجلة القيادة ، ووضع " جيفري " بجانبه .. قاد الرجل الأنيق بسرعة عبر طريق طويل خال تقريبا :
-" الثياب .. "
أعترض " جيفري " ثانية ، وهو يشير إلي ثيابه الملطخة بالدم ، فأسكته رئيسه رافعا كفه منهيا النقاش :
-" لن نحتاج لثياب هناك .. أعني أننا سنبدل ملابسنا ونرتدي أردية الإله أمون .. كلينا ! "

حدق بوجهه غير مصدق للحظة .. ثم ركز عيناه على الطريق .. بعد نصف ساعة وصلوا أخيرا !
هبط " موفات " من السيارة وتبعه " جيفري الذي وجد نفسه أمام أغرب صرح في العالم .. بناء منخفض لكنه هائل الامتداد ، أعمدة حجرية عملاقة ، من حيث السمك لا الارتفاع ، تحمل واجهة ملونة مزينة بثعابين ملتفة ضخمة من الحجر الذي له لون الرمال تلتف كلها حول بعضها وتتلاقي رؤوسها على جوانب لوحة ضخمة ، تحتل واجهة البناء كلها تقريبا ، مضاءة بالنيون وتتألق فوقها أحرف إنجليزية استهلالية فخمة تكون كلمات تقول :
(معبد العالم الآخر للموتى المتميزين .. كن ميتا مختلفا عن الموتى الآخرين !)
كان للمكان كله طابع فرعوني لا تخطئه العين .. صعدا ثلاث درجات حجرية مرتفعة للغاية قطعت أنفاس " جيفري " ليجدا حارسين يقفان لدي الباب ..
كانا مخلوقين ضخمين أصلعين تماما ، عاريي الجذعين ولا تغطيهما سوي قطعتين من قماش كتاني أبيض لفت حول وسطيهما مرورا بأسفل البطن وحتى أعلى الركبتين بقليل .. كانا كلا الرجلان يضعان الكحل الذي أمتد خطه الأسود السميك لمسافة كبيرة خارج خطي الرموش .. ولم تكن أيدي الحارسين خاوية بل أمسك كلا منهما بيديه مباخر مزودة

بسلاسل ذهبية براقة تحمل منها وتنطلق منها رائحة دسمة مخدرة تشعر المرء بالرغبة في النعاس :
" تنشق البخور ! "
هتف " موفات " آمرا وهو ينحني ليأخذ نصيبه من الرائحة الطيبة الدسمة :
" عود نقي طبيعي وليس صناعي .. راحة مواتنا ورفاهيتهم هي هدفنا في الحياة ! "
المصيبة أن هذا الرجل يردد ترهاته وكأنه يتحدث عن خدمات عظيمة يقدمها للبشرية البائسة التي لا تعرف كيف تحيا بدون خدماته القيمة .. مرغما أضطر " جيفري " لتنشق القليل من تلك الرائحة التي رغم طيبها أحدثت له نوبة سعال عنيفة متصلة :
" آه .. صدرك ملوث يا فتي .. ملوث .. ملوث .. لا أحد يسعل عندما يشم بخور شركة العالم الآخر إلا إذا كان رئتاه ملوثتان بالسخام ! "
نظر له " جيفري " بحقد وهو يواصل سعاله :
" سننظفه لك .. فجأة رن في الجو صوت جرس مزعج مخيف وفي نفس اللحظة بدأ صوت ترتيل جماعي غريب ، بدا كالترانيم الكنسية ، لكنه كان بلغة غير مفهومة للمستخدم المسكين :
" هيا هيا سيبدءون عملية التحنيط الآن .. هيا لنلحق بهم منذ البداية .. لا نريد أن يفوتنا كثير من المتعة ! "
جذبه من ذراعه بعنف ودخل به قاعة فسيحة ، بعد أن توقفا للحظة ليبدلا ثيابها بعباءات فضفاضة من الجلد المطبوع كبرقع تحاكي جلد الفهد المبرقش .. أصيب " جيفري " بالذعر حين وقعت عيناه على الحشد الذي يملأ القاعة .. فقد كان أغرب حشد بشري يمكن أن تراه عينا بشري عاقل !

(٦)

أحست " ناتالي " بصداع عنيف عقب ذهاب " جيفري " .. خلد الطفلين للنوم بلا مشاكل ، بينما صنعت هي لنفسها فنجانا من القهوة الثقيلة ، وتناولت حبتين من دواء للصداع جعل رأسها تثقل وتكاد تسقط على المنضدة أمامها من فرط إحساسها بثقلها .. لكن الغريب أن الصداع لم يذهب بل بدأ يشتد وأخذت تسمع أصوات غريبة في أذنيها !
تشوش ذهنها للحظة وأحست بدوار عنيف يكتنفها ، ولكنها وعندما صفا ذهنها ثانية سمعت صوت دقات قريبة تتداخل مع وعيها وشعرت وكأن أحدا ينقر المنضدة التي تجلس إليها بطرف أصبعه ..
نفضت " ناتالي " رأسها بعنف ، وأنصتت جيدا لتتأكد مما تسمعه .. لكنه كان حقيقة بالفعل .. في مؤخرة عنقها أحست بذبذبات صوتية قريبة منها للغاية ، تركت فنجان القهوة ، الذي فرغ ولم تتبقي فيه سوي الثمالة ، وأخذت تدور في الغرفة باحثة عن مصدر هذا الصوت الغريب .. تأكدت أولا من أحدا من الطفلين لم يختبئ خلف احدي قطع الأثاث ليخيفها ، كما كانا يفعلان أحيانا في أيام الصفاء والشقاوة ، ولما تم لها ذلك .. خطر لها أن صوت الدقات ربما يكون ناجما عن سقوط قطرات الماء من صنبور المطبخ ، فذهبت على عجالة لتفقده .. كان الصنبور مغلقا جيدا ، لاحظت ذلك من بعيد ، وبرغم ذلك قررت أن تقترب منه لتشد عليه جيدا ، فصوت الدقات ضايقها بعمق .. لكنها لم تجد الفرصة الكافية لذلك لأن الهاتف دق بغتة !
تركت " ناتالي " الصنبور ، وذهبت سريعا إلي الهاتف ، تخيلت أنه " جيفري " يتصل ليطمئنها عليه .. لكنه لم يكن هو :
-" مرحبا ! "
آتاها صوت من الناحية الأخرى يسأل بهدوء :
-" أهذا منزل السيد " جيفري ديغراس " ؟! "
-" نعم .. إنه هو ! "
أجابت الزوجة وهى تسترجع ذكرياتها لتتعرف على صوت المتصل فقد بدا لها مألوفا :
-" يالله .. لابد أنك " ناتالي " زوجته .. طفلتي العزيزة ! "
أصابتها الدهشة وهي ترد قائلة بحيرة :
-" من يتحدث ؟! "
ضحك الصوت على الطرف الأخر وقال منتصرا :
-" إنه أنا يا فتاتي .. حماتك ! ألم تتعرفي على صوتي بعد ؟! "
-" ..... "
خرست " ناتالي " فلم تجد ما تقوله ثم ردت بعنف بعد لحظة :
-" اسمعي إذا كنت تخططين لأن تحظي ببعض التسلية على حساب أسرتي فأنت .. "
انفجرت الأخرى ضاحكة وقالت بمرح :
-" إنني لا أخطط للتسلية .. إنني أخطط لزيارتكم يا طفلتي .. سأكون عندكم الليلة .. قبلي لي صغيري حتى أتي لأقبله بنفسي .. "

هتفت الزوجة بحنق :
-" اسمعي ... "
لكن هوب .. أغلقت الأخرى الخط تاركة " ناتالي " تطفو في بحيرة من الحيرة والفزع .. وضعت السماعة وهي تقنع نفسها بأنه مجرد اتصال عابث من سيدة مختلة .. لكنها تريد أن تتأكد قبل كل شيء !
طلبت رقم دليل الهاتف ، وعندما أجابت عليها العاملة أملتها رقم الهاتف الذي أتت منه المكالمة السخيفة منذ لحظة ، طالبة معرفة اسم صاحب هذا الخط الهاتفي .. بعد لحظات بدأت العاملة تتلو على أسماع زوجة " جيفري " بيانات المتصل كاملة :
(الهاتف باسم السيدة " تريسا إلتون ديغراس " ٣٣ شارع الكنيسة المعمدانية ، لويفيل ..)
استمرت العاملة في تلاوة بقية العنوان والبيانات ، لكن الدوار الذي أصاب " ناتالي " جعلها لا تسمع شيئا بعد الاسم الكامل .. يا إلهي لا أود سماع المزيد .. فهذا يكفي !
فجأة أنفجر الصنبور من خلف " ناتالي " ، أنفتح الصنبور من تلقاء نفسه قاذفا كمية هائلة من المياه دفعة واحدة .. استدارت المرأة مذعورة ، لتجد المياه تتدفق كالشلال منسابة داخل الحوض .. ولم تكن هذه هي المصيبة الوحيدة .. بل إن ظل واضح كان ملقي على جانب الحوض الأيسر .. ظل لامرأة عجوز تقف بجوار الحوض تماما وتبتسم لها !
...
بالداخل كان أكبر تجمع بشري رآه " جيفري " في حياته .. ثمة حشد كبير من المخبولين هناك ، وكلهم قد حلقوا رؤوسهم تماما وتركوها مكشوفة للعيان ، أو غطوا رؤوسهم بأقمشة ملونة مطوية ، ومحيطة بالرؤوس في سمت فرعوني لا تخطئه العين .. لم تكن تلك هي المشكلة ، المشكلة الحقيقية أنه في وسط أولئك المخابيل تمددت منضدة هائلة ، أحاط بها مجموعة من الرجال شبه العراة الذين يلفون وسطهم بما يشبه جلود الحيوانات ، ويغطون وجوههم بأقنعة مصورة بهيئة حيوان قريب من الكلب ، أو لعله كلب فعلا ، ولم يستطع " جيفري " أن يفهم سر ارتداؤهم لتلك الأقنعة الهزلية السخيفة :
-" لم يرتدون وجوه كلاب ؟! "
مال على رئيسه ، الذي كان يهتز على إيقاع نغمات لا يسمعها أحد سواه ، أجاب الأخير وهو لا يزال يتمايل بسعادة :
-"إنه ليس كلبا واحدا ! أوه .. أقصد ليست أقنعة كلاب ! إنه رأس " أبن آوي " رمز الإله " ممفيس "* إله التحنيط عند الفراعنة ! "
" جيفري " من ناحيته لم يكن اسم الكائن الذي يرتدون أقنعة تمثله يهمه في شيء ، المهم عنده كان مغادرة هذا المكان بأسرع ما يمكن ، فقد شاهد بوادر أشياء لا يحب أن يراها ثانية .. فقد شاهد بطرف عينه ، من موضعه بجوار السيد " موفات " في المؤخرة ،

* واضح أن معلومات " موفات " خاطئة فإله التحنيط اسمه " أنوبيس " أما " ممفيس " فاسم مدينة " منف "

أشياء مسندة إلي المنضدة العملاقة في المنتصف .. بدت له أجساد بشرية كاملة موضوعة فوق المنضدة تهيئا لشيء ما لا يعلمه ، ولا يود ذلك :
-" سأذهب ! "
قال وهو يحاول المروق عبر الأجساد التي تجمعت أمام المدخل سادة عليهما طريق الخروج .. لكن " موفات " أمسكه من ذارعه بحسم :
-" لا .. لا أحد يغادر الليلة .. سيحنطونهم الآن فورا ويجب أن نحضر ذلك الحفل اللطيف ! "
هم " جيفري " بالاعتراض قائلا :
-" لست مجبرا على .. "
لكن رئيسه قاطعه فورا منهيا المناقشة برمتها :
-" لا .. إنها من مقتضيات وظيفتك ! "
في تلك اللحظة اندلعت موسيقي راقصة جنونية في القاعة الضخمة .. وأنغمس الجميع في رقص غريب أشبه بالهذيان والجنون !
أندمج " موفات " مع الراقصين ، بينما تركهم " جيفري " في غيهم ، وأخذ يتلفت بحثا عن منفذ يمكنه الهروب عبره ، لكنه لم يعثر على واحد للأسف ..
أستمر الرقص حوالي عشر دقائق ، ثم توقف فجأة .. توقف الجميع عن الرقص والتمايل ، وربما عن التنفس كذلك ، حينما دخل إلي القاعة كائن عملاق يرتدي عباءة جلدية كاملة ، ويضع قناع " أبن آوي " ضخما للغاية ، لدرجة أنه تدلي حتى منتصف صدره .. لم يكن هذا الكائن المقتحم سوي رجل ذو أبعاد خرافية ، لكن بدا أنه شديد الأهمية للمجموعة بأسرها ، لأن الصمت الرزين شملهم بينما كان يمر وسطهم ، وكثيرون منهم انحنوا له احتراما ، وأخذ كل منهم يبذل جهده لكي يفتح له الطريق ويبعد الآخرين ، ولو بالدفع ، عن المسار الذي يتحرك فيه .. حتى " موفات " نفسه ، رئيس القوم وكبيرهم ، بدت عليه الرهبة حينما مر العملاق بقربه .. لم يسبق ل" جيفري " رؤية رجل بهذا الحجم من قبل !

توجه العملاق نحو المنضدة التي تراصت فوقها الأجساد ، وبدأ يلمسها بيديه العملاقتين .. أخذ المجتمعون في التهليل ، دون سبب ، بينما بدأ سائل ما يتقاطر من فوق رؤوسهم ويبللهم .. رفع " جيفري " رأسه ونظر إلي أعلى ، فرأي ما يشبه نافورات صغيرة متعددة تندفع من فتحات كثيرة ملأت السقف ، وتندفع منها سوائل شفافة لها رائحة عطرية قوية مخدرة ..
أخذ رأسه يغلي ، فمد يديه يمسح شعره مما علق به من تلك المادة التي وجدها لزجة قليلا ، وسأل مخدومه الذي لا زال يقف بجانبه :
-" ما هذا ؟! "
كان " موفات " مركزا تماما في ملاحظة ما يقوم به العملاق عند منضدة التحنيط ، لكنه تنبه لسؤال " جيفري " على الفور :
-" إنه سائل التحنيط ! "

-" ماذا ؟! "
أجفل " جيفري " ، وصرخ متراجعا خطوتين إلي الخلف ، فقال له " موفات " وهو يشير إليه بأن يصمت ولا يتحدث ثانية :
-" مالك يا أبتاه ؟! إنه ليس إلا سائل تحنيط مخفف بالعطور الثمينة .. إنه حفل تحنيط جماعي وأحدنا سيتم اختياره ليكون إلهاً للموتى الليلة ! "
يا للمجانين الذين سقطت بين أيديهم يا ابن " ديغراس " اللعين !
فجأة أخرج العملاق من أسفل عباءته عصا معقوفة ضخمة ، طرفها مزين بكعب ذهبي صافي وأخذ يدق بها فوق الأرض دقات رتيبة منتظمة فتحدث إيقاعا رهيبا منتظما :
بوم ..
بوم ..
بوم ..
بعد الثالثة أقترب أحدهم وأخذ العصا من يد الرجل .. ثم بدأت عملية التحنيط ذاتها !
كُشفت الأغطية من فوق الأجساد الممددة ، فبدوا جميعا عراة كما خرجوا إلي الحياة ..
كانت حالة أجسادهم تدل على أنهم ليسوا موتي طازجين ، بل كانوا متيبسين ومتجمدين وجلودهم مشدودة ومنكمشة ومسحوبة بشدة فوق أجسادهم الذابلة :
-" لقد تم تحنيطهم بالفعل منذ سبعين يوما .. والليلة سنلفهم بالأكفان ونضعهم في التوابيت .. وأنت ستشترك معنا في تلك العملية ! "
ذعر " جيفري " ، ومما زاد من ذعره هو صوت هاتفه المحمول الذي أخذ يدق فجأة وبإلحاح شديد .. ألتفت " موفات " نحوه ونظر إليه نظرة صارمة باردة ، وهتف آمرا بسلطوية لم يرها منه من قبل :
-" أغلقه .. أغلقه !"
-" ولكن .. "
-" قلت لك أغلقه .. أنت لا تعرف ما يمكن أن يحدث ! "
وقبل أن تتاح الفرصة ل" جيفري " ليرد أو ليساءل عما يقصده رئيسه ، وجد القاعة كلها قد ألتفتت إليه ، وأخذ الجميع يرمونه بنظرات حادة .. حتى العملاق المتشبه بالإله " ممفيس " هذا ترك ما كان يقوم به ، واستدار ليركز نظراته على " جيفري " .. لم يفهم الأخير ماذا يحدث بالضبط ، إلا عندما وجد عددا من الحاضرين يحيطون به ويحاولون الإمساك به :
-" ماذا .. ماذا تري.. "
لم يجد المسكين وقتا كافيا ليفهم ما يريدون منه ، أو ما هم مقدمون على فعله .. لم يعطوه فرصة لذلك ، بل التفوا حوله ، مجموعة من خمسة أو ستة رجال أغلبهم غير مقنعين ، أحاطوا به ثم أنتزع أحدهم هاتفه الصغير من يده ، وبدءوا في حمله ورفعه عن الأرض ..
صرخ " جيفري " مستغيثا بينما أخذ " موفات " يجذب قدمه مستخدمه المعلقة في الهواء ويصيح محتجا :
-" رويدكم رويدكم يا شباب .. إنه مساعدي .. لا تكونوا سخفاء ! "

لكن (الشباب) لم يستمعوا إلي " موفات " ، ولم يأبهوا باعتراضه .. بدأ الجميع يصرخون بصخب :
-" إله الموتى .. إله الموتي ! "
بينما فتح العملاق فاه ليصيح بصوت وحشي :
-" إنه المحظوظ الليلة .. سنحنطه وندفنه ليكون حارسا للموتى .. إله الموتى ! "
وكانت صيحته الأخيرة قمينة بإثارة الهتافات الجماعية مرة أخري ، فأخذ الجميع يصيحون :
-" إله الموتى .. إله الموتي . . حنطه حنطه ! "
ضاعت صرخات " موفات " وسط الضجيج الجماعي ، بينما انتابت حالة من الذعر والصدمة " جيفري " ، الذي أخذ يحاول الإفلات من أيدي الممسكين به والتحلل من أيديهم الفولاذية المحيطة به ..
لكنه عجز عن ذلك ، قاوم حتى تعب وخارت قواه .. حملوه خطوات حتى وضعوه فوق المائدة وسط الجثث الجافة المتكلسة .. قيدوه بعنف ، ثم وجد العملاق يقترب منه ، بقناعه المخيف ، حاملا في يده قنينة ضخمة .. وسكين مطبخ عملاقة مسنونة تلمع حافتها كحد الموسي !

(٧)

أصيبت " ناتالي " بالدوار والزغللة ، وكادت تسقط على وجهها أرضا .. دارت الدنيا بها وأحست بأن رأسها تحول لكرة بنج بونج يتقاذفها لاعبان شرسان :
-" مرحبا صغيرتي .. "
أنفتح فم السيدة الواقفة بجوار الحوض متكلمة فجأة ، فلاحظت الزوجة أن داخل فمها ولسانها شديدي الاحمرار :
-" إم ... ممم .... "
ظلت " ناتالي " واقفة متجمدة مكانها ، متشبثة بمقعد خلفها ، لئلا تُكب على وجهها فوق الأرض ، وحاولت أن ترد على المرأة التي ظهرت فجأة في منزلها لكنها لم تستطع إلا إخراج أصوات وهمهمات متقطعة لا معني لها :
-" " ناتالي " الصغيرة .. أليست هناك قبلة لحماتك العزيزة ؟! "
هتفت المرأة العجوز مبتسمة ابتسامة في غاية القبح ، وبدأت الآن تترك مكانها الأول وتتحرك صوب " ناتالي " التي تحولت لكرة ضخمة من الثلج :
-" لا .. "
قالت " ناتالي " وهي تحاول أن تبعد تلك المرأة عنها :
-"لا .. أبقي مكانك ! "
-" أوه .. ناتالي هيا رحبي .. "
قالت العجوز ، وهمت بالاقتراب خطوة أخري من زوجة " جيفري " المذعورة .. هنا صرخت الزوجة ، فقدت كامل أعصابها وسيطرتها على نفسها ، وصرخت بأقوى عزم لديها .. الغريب أنه بمجرد أن فتحت فمها مطلقة صرختها المذعورة حتى تلاشت الزائرة الغامضة ، واختفت عن ناظريها .. تبخرت وسمعتها " ناتالي " وهي تردد
- " فتاة شريرة .. فتاة شريرة " !
هرع الطفلين خائفين من أعلى ، كانا بثياب النوم والنعاس يكاد يغلق عينيهما .. أسرعا إلي أمهما والذعر على وجوههما الصغيرة .. لم تكن الأم قد تمالكت نفسها بعد :
-" ماما .. ماما .. ماذا حدث ؟! "
-" ماما .. هل أنت بخير ؟! "
أخذت " ناتالي " نفسا عميقا ، وحاولت أن تبدو بخير أمام أبنيها :
-" أنا بخير يا حبيبي .. أذهبا لتكملا .. "
هنا دق الهاتف خلفها فجأة ، فبهتت وارتعشت بقوة .. أجفل الطفلان وأسرعا يختبآن بين ذراعيها .. أبعدتهما برقة لترد على الهاتف اللعين :
-" جيفري .. تعال .. "
لكنه لم يكن " جيفري " الذي على الجانب الآخر :
-" فتاة شريرة .. "
سمعت ذات الصوت يردد ببرود ، تتخلل كلماته الضحكات المخيفة :
-" فتاة شريرة .. فتاة شريرة .. "

أخذ الصوت يردد ، بينما السماعة التصقت بجانب وجه " ناتالي " التي حاولت انتزاعها وإبعادها عنها دون جدوى .. نظر الطفلين برعب لما يحدث حولهما .. رن الهاتف مرة أخري بينما السماعة لا تزال في يد " ناتالي " .. سمعت الزوجة نقيقا غريبا ثم تحول الخط لتسمع صوت زوجها يحادثها :

-" جيفري .. جيفري .. النجدة ! "

صرخت عبر الهاتف لكن الخط فصل فجأة .. وأعقب ذلك انقطاع التيار الكهربي .. وانهمر على المنزل ظلام دامس مخيف !

...

أرقدوه على المنضدة بالقوة بينما هو يقاوم كفأر أنغلق عليه باب الشرك .. كان " موفات " لا يزال يصيح بجدية تلك المرة :

-" لا لا يا شباب .. هذا مساعدي .. "

لم ينصت إليه أحد ، ولم يعطه فرصة لإكمال احتجاجه ، فاحتجاجه لا يهم أحدا بالمرة .. صرخ " جيفري " بقوة بينما العملاق ذو السكين المخيفة يقترب منه :

-" يا شباب .. كفي مزاحا .. أنتم سمجون فعلا .. "

استمر " موفات " يصيح كالديك ، والآخرون يهللون ويصيحون مرحا ، ولا أحد يستمع إليه .. تم تقييد " جيفري " بواسطة أربعة أشخاص كحيوانات الخرتيت في القوة ، وتقدم منه العملاق ليتأمله من خلال ثقوب الوجه المخيف الذي يرتديه :

-" هووووووووووووم ! "

صاح العملاق فأنفجر الجميع حوله يرددون وكأنهم أصيبوا بنوبة صرعية :

-" هوم .. هوم .. هوم ! "

لم يفهم " جيفري " حرفا ، والأرجح أنها كلمة بلا معني ، لكن يبدو أنها تثير أولئك المخابيل كجرعة هلوسة ممتازة :

-" سنحييك من جديد يا فتي .. ستبقي إلي الأبد وستحيا في صورة " أوزوريس " إله الموتى .. لكنك يجب أن تموت أولا ! "

انطلقت الصيحات المجنونة حوله ، بينما امتقع وجه " جيفري " ، وحاول كالمجنون أن يتخلص من الأيدي التي تقيده .. فجأة أنتهي كل شيء وساد السكون !

تقدم الكائن العملاق من " جيفري " الممدد على المنضدة .. أخرج من عباءته سكينا صغيرة جدا ، تبدو شبيهة بقصافة أظافر ، وأمسك بكف يدي الرجل المقيد أمامه .. صنع شقا صغيرا في الجلد .. كان الشق صغيرا جدا حتى أنه لم ينبجس منه أي دم .. لم يشعر " جيفري " بالألم ، بل شعر بالرعب والهلع .. بعد أن شق الجلد المحمر من فرط الانفعال ، أخرج قنينة صغيرة من داخل عباءته ، التي يبدو أنه يحتفظ بأسرته كلها داخلها ، يترقرق سائل أحمر قان لامع أسفل زجاجها الصافي ..

حرر الغطاء وألقاه بعيدا ثم صب نقاط قليلة على الأخدود الذي تركه الشق في كف " جيفري " .. سال السائل الأحمر على الجرح فشعر " جيفري " بدوار هائل .. غامت عيناه ، وتبلل وعيه بماء يتدفق فوقه لا يدري من أين بالضبط .. فتح عيناه للحظة يحدق فيما

حوله بذعر بينما حدقتاه متسعتان كحفرتين فوق وجه القمر .. ثم ارتخت جفونه وأطبقت وراح محلقا في مكان مجهول .. وفقد الوعي تماما !

...

سقط الظلام فوق البيت فأصيبت " ناتالي " وولديها برعب هائل .. ألتصق الثلاثة ببعضهم كهرر صغيرة هجرتها أمها ، وتركتها تحت رحمة كلاب شرسة .. صرخ الطفلين رعبا ، رغم أنها لم تكن أول مرة ينطفئ عليهم النور ، ويغرقون في ظلام دامس داخل البيت ، لكنهم أحسوا أن ثمة شيء غريب يحدث تلك الليلة بالذات .. ألتصق الطفلان بالأم التي أخذت تحاول تهدئتهما بينما هي نفسها كانت بحاجة لمن يهدئها :

-" حسنا .. حسنا .. لا تخافوا .. لا تخافوا ! "

رددت " ناتالي " وهي تضم الطفلان إليها بقوة .. كان هناك صمت كامل لا يقطعه سوي أصوات تنفس الطفلين المرتفعة :

-" سأضيء شمعة .. لا تخافوا ! "

في تلك اللحظة دوي صوت غريب .. صوت خطوات واضحة تسير في الطابق العلوي ! أجفل الطفلان وهرعا ليختبأ بين ذراعي أمهما ، التي كانت متوترة بدورها .. أبعدتهما برقة ، وبدأت تقلب بين الأدراج بحثا عن قطعة شمع .. اصطدمت أصابعها المتعجلة بأشياء كثيرة لا حصر لها في الأدراج لكنها لم تجد قطعة شمع واحدة !

-" كانت هنا .. يا إلهي .. كانت هنا ! "

تذكر " سام " فجأة أنه يحمل كشاف الجيب الصغير الخاص به في جيب منامته ، فأخرجه وأضاءه .. لحظة واحدة سطع فيها ضوء الكشاف ، الذي لم يزد عن خيط واهن من النور ، ثم أنطفأ بعدها .. صرخ الطفل مفزوعا :

-" ماذا .. ماذا هنالك ؟! "

رددت الأم مذعورة، وهي تتجه صوب الطفلين ، مهتدية بضوء الكشاف الذي تبدد بالفعل :

-" هناك امرأة بجانب الحوض .. هناك امرأة ! "

قال الولد ثم أخذ يصرخ من جديد ، ذعرت " ناتالي " وجرت نحو طفليها .. في اللحظة التالية انفجرت ضجة هائلة في البيت .. أنفتح الصنبور ثانية ، وتدفق منه الماء بصوت مدوي ، في نفس الوقت الذي سمعوا فيه صوت تدفق الماء بأعلى :

-" هل تركت صنبور الحمام مفتوحا .. سام ؟! "

صرخت الأم ، لكن الطفل المرعوب أخذ يهز رأسه هزات نافية لم ترها أمه في الظلام الكاسي حولهم ..

أخذت طفليها بين ذراعيها ، وراحت تحاول تهدئة نفسها وتهدئتهما ، مرت لحظة صمت .. أختفي صوت الماء المندفع بقوة .. ثم ظهر ضوء لامع بالقرب من الحوض .. كرتان حمراوان صغيرتان متوهجتان .. عينان مخيفتان تحدقان بهم من الطرف الآخر من المطبخ !

(٨)

فتح عينيه بعد وقت لم يعرف طال أم قصر .. كانت عيناه ثقيلتان ملتصقتان ، وكل جفن من جفونه يزن طنا ، ويحس وكأن فوقه كتلة من الصخر .. فتحهما بالنهاية ليجد نفسه بمفرده !

القاعة المهولة خاوية تماما ، لا تزال المنضدة الكبيرة ، التي يرقد عليها ، والجثث المحنطة فوقها موجودة كما هي ، وممددة بذات الأوضاع .. لكن أين المهرجين السفلة ذوي الوجوه الغريبة ؟!

لم يكن هناك أحدا منهم .. حتى " موفات " ، رئيس شركة المخبولين نفسه ، لم يكن له أثر هنا !

نهض متثاقلا مضطربا ، شاعرا أن هناك ثقلا رازحا داخل رأسه ، دوار عنيف أكتنفه ، وكاد يُقعده ، ويُعجزه عن النهوض من مكانه .. لكنه قاوم وتحامل على نفسه ، أذهله الوضع الذي وجد نفسه فيه وحيدا تماما .. لا ليس تماما ، فثمة صوت خافت بدأ يظهر في أرجاء القاعة برفقته ، لكن الغريب أن الصوت كان قادما من أسفل .. من تحت قدميه !

نظر مبهوتا ، فوجد رؤوس كل هؤلاء القوم تحت قدميه .. كانوا كلهم هناك ، كلهم ، لكنهم تحته .. أصابه الذعر ، وفطن لأول مرة أنه لا أرضية تحته يسير فوقها .. وأن قدميه تسيران فوق الهواء وأنه يطفو فوق رؤوس أولئك المخابيل !

أخذته الصدمة للحظة .. أغلق عينيه ، وفركهما بقوة ، ثم أعاد فتحهما من جديد .. لكنه كان لا يزال في نفس الوضع معلق فوق الرؤوس !

شعر ببرودة تشمله فأرتعش ، ورأي أجساما كثيرة تتجه نحوه !

كانوا مثله يطفون فوق الرؤوس ، ويسيرون في الهواء ، فأخافه منظرهم المثير للذعر .. كانوا كثيرين .. كثيرين جدا .. كلهم كانوا ملفوفين بضمادات بيضاء ، وفيما عدا فتحات العينين ، لا يري من تفاصيلهم شيئا .. متخشبين صامتين جامدين يسيرون نحوه ، وقد مدوا أذرعهم أمامهم يتحسسون الهواء المحيط بهم .. جاء الوقت المناسب ليعلن عن رعبه دون خجل .. فصرخ صرخة مدوية !

سمع صوتا قريبا يحادثه ، صوتا حنونا مألوفا ، فأصابه ذعر وتخشبت أطرافه رعبا .. نظر نحو من يحادثها .. فوجدها سيدة صغيرة الحجم ذات شعر أبيض كث منفوش حول رأسها ، ووجها الصغير الطيب يلمع من بين صفين من الجواهر الصغيرة التي تزين جبهتها ورقبتها النحيلة .. كانت أمه ولا أحد سواها !

-" أماه ؟! "

هتف " جيفري " وهو لا يكاد يصدق عينيه :

-" جيف .. جيفي ! "

همست العجوز ، وفجأة مدت يديها وجذبته نحوها .. شعر بخوف ورهبة عندما ماتت يديها العظميتين على ذراعيه حتى كادت ، برغم وهنها الذي يعرفه ، تسحقه سحقا !

-" أماه ! "

-" تعالي معنا .. تعالي معي ! "

-" أين .. أين ؟! "
ردد " جيفري " ، وهو يكاد يموت ذعرا ، لكن فجأة أنصرف انتباهه عن أمه عندما سمع ضجة مهولة تحته ..
كان كل أولئك المخبولين لا يزالون هنا .. لكنهم لم يكونوا هادئين ولا صامتين بل كانوا يصرخون ويزعقون في بعضهم :
-" أيقظه .. أيقظه ! "
سمع صوتا يصرخ بذلك ميز فيه صوت " موفات " اللعين :
-" أنتهي المزاح .. أيقظه الآن ! "
سمع صوتا آخر يهمهم بكلمات غامضة ، و" موفات " يصرخ فيه :
-" كفي مزاحا ثقيلا .. أيقظه الآن لعنة الله عليك ! "
هذه المرة تكلم الصوت المهمهم بوضوح :
-" إنه لا يستجيب .. "
صاح " موفات " محتجا ، ثم رآه " جيفري " ، من موضعه فوق رأسه ، يهرع نحو المنضدة التي لا تزال بأسفل .. أقترب من جسد ممدد هناك بلا حراك .. حدق فيه " جيفري " بذعر غير مصدق لما يراه .. إنه جسده هو !
ذهل وأصابته ضربة برودة في معدته .. رفع رأسه فرأي الليدي " إيفانا " قد انضمت إلي والدته .. حاصرته المرأتين ، وأمسكت كل واحدة منهما بذراع له ، وأخذتا تجذبانه بعيدا بقوة وإصرار :
-" تعال معنا .. تعال ! "
من أسفل تجدد صوت الصياح وهذه المرة سمع صوتا خمولا يقول :
-" لا فائدة إنه لا يستجيب ! "
صرخ " موفات " وشد شعره مولولا:
-" ماذا تعني .. بحق الشيطان ماذا تعني ؟! "
تكلم العملاق للمرة الأولي وقال بهدوء قاتل :
-" أعتقد أن موظفك قد مات ! "
صاح " موفات " غضبا ، وأمسك بجسد " جيفري " ، وأخذ ينفخ في فمه ، ويحركه ، ويدلك قلبه محاولا إفاقته وإنقاذه .. لكن العملاق قال له ثانية بلا أدني انفعال :
-" ألم تسمعني ؟! أقول لك أنه قد مات ! "
سال عرق بارد وبلل وجه " جيفري " ورقبته وتسلل حتى داخل قميصه .. لقد أدرك الآن فقط لما يطفو فوق الرؤوس .. وكيف يسير على الهواء !
...
اقتربت كرتي النور الأحمر من المكان الذي تجمدت فيه " ناتالي " ، وهي تعتصر طفليها في حضنها .. دلهم ذلك على أمر واحد ، أن ذلك الشيء الذي ظهر بجوار الحوض ، أي يكن هو ، يقترب منهم .. صرخ الطفلان وروعا .. أبعدتهما الأم وخبأتهما خلف ظهرها :
-" لماذا أنتم خائفون ؟! "

تردد صوت عميق له رنة معدنية مرعبة .. أنحبست أنفاس الثلاثة ، فلم ينطق أحدهم بحرف واحد :
-" آوه ! يا للطفلين المذعورين المسكينين ! "
صرخت " ناتالي " فجأة وقد غلب الغضب على رعبها الشديد :
-" من أنت .. من تكونين ؟! "
ترددت ضحكة قصيرة مخيفة ، وسُمع بعدها صوت يقول :
-" آوه " ناتالي " العزيزة ! هل أنت عمياء .. إنني حماتك يا صغيرتي ! "
صرخ " سام " وأخوه ، لكن الأم حاولت أن تتمالك نفسها :
-" اسمعي أي تكونين .. إن حماتي متوفاة منذ سنوات طويلة ! "
صمت الصوت قليلا ثم قال بهدوء :
-" نعم أعرف ذلك .. لكنني عدت يا صغيرتي ! "
رفع الولد الأصغر " تود " رأسه ، التي يدفنها في ثوب أمها وهتف متسائلا :
-" ماما .. هل الموتى يعودون مرة أخر.. "
قاطعته أمه صارخة :
-" أخرس .. لا تتحدثا معها ! "
ضحك الصوت الآخر باستخفاف وهمس :
-" يا لك من جبانة يا فتاة .. لقد عدت في إجازة قصيرة لأراكم .. أما من قبلة للجدة يا أطفال ! "
هنا سطعت الأنوار مرة أخري ، أغلق الثلاثة عيونهم بقوة تفاديا لقوة الضوء في أبصارهم التي اعتادت الظلام .. تخليت " ناتالي " أنها عندما ستفتح عينيها ستجد ذلك الكابوس قد أنتهي .. كانت تؤمن بأن الأشباح لا يمكنها الظهور تحت قوة النور الكهربي .. لكنها كانت مخطئة في اعتقادها هذا !
فعندما فتحت عينيها وجدتها تقف هناك على كثب منها ، ومن الأطفال .. عجوز ستينية صغيرة الحجم ونحيفة ، بشفة سفلية متهدلة ، وثوب دفن نظيف واسع الأكمام .. كان هناك شيء واحد ناقص لإكمال المشهد .. وهو العصا القصيرة التي كانت تتوكأ عليها في سنواتها الأخيرة ، لتسير دون أن تسقط على وجهها من فرط الضعف والمرض .. لكنها يبدو أنها لم تعد بحاجة إليها هناك .. في العالم الآخر .. عدا ذلك فقد كان كل شيء مضبوطا ، وتاما كما شاهدتها آخر مرة قبل أن يواروها التراب .. إنها حماتها فعلا دون أدني شك !

(٩)

فتح عينيه أخيرا بعد ضربة قوية تلقاها على صدغه الأيسر .. أنتفض ، وفتح عينان تزنان أطنانا ، وسال عرق كنهر دافق على وجهه ورقبته :
-" آوه .. لقد أفاق ! "
كان العملاق واقفا بجواره وقد نزع قناعه .. العجيب أنه وجده ، حين ألتفت إليه بعينيه المثقلتين ، وسيما رقيق الملامح بشعر أشقر ناعم غزير منسدل على كتفيه .. أقترب منه راغبا في الاطمئنان عليه :
-" لا أبقي بعيدا ! "
رفع كفه ، التي بدت ككف وليد لساعته ، بالنسبة لجسد العملاق الأشقر وجرمه الهائل .. لكن العملاق أطاع وبقي بعيدا بينما تنفس " موفات " الصعداء ، وجري نحوه وعلى وجهه علامات الهلع :
-" جيفري .. جيفري .. هل أنت بخير ؟! "
لم يكن " جيفري " قادرا على الكلام ، لكنه هز رأسه ليُظهر له أنه يسمعه جيدا ، وأنه بكامل وعيه :
-" أوه شكرا للسماء ! كدت أموت خوفا عليك .. سأعاقبهم يا " جيفري " .. أولئك الأوغاد السمجون ، وسألغي حفل التحنيط الليلة وسأدفع لك تعويضا طيبا عما لحق بك من أضرار .. التعويض الذي يناسبك ! "
كان رئيس شركة العالم الآخر ملهوفا لإخلاء مسئوليته تجاه ما حدث لمخدومه ، والتنصل من تلك الفعلة .. فقد كان " جيفري " بوسعه التقدم بشكوى قانونية ضده ، وضد شركته وكان سيحصل على تعويض ربما لا يقل عدده عن رقم على يمينه ستة أصفار !
لكن الغريب أن " جيفري " لم يكن ينوي أن يفعل شيئا من ذلك .. نظر ببساطة إلي الشق الذي بللوه بمادة التحنيط ، فوجده قد تلاشي .. ألتئم الشق الصغير تماما ولم يترك حتى أثر ندبه مكانه !
نهض " جيفري " على قدمين مترنحتين ، فهب " موفات " بسرعة ليساعده على النهوض ، ووقفت خلفه السكرتيرة " جورجينا " ترقبه بقلق ، وهي تلمس إطار نظاراتها كل ربع ثانية بعصبية وتوتر بالغين ، أفسح الجميع الطريق لهم صامتين :
-" سنغادر الآن .. سأوصلك إلي البيت .. ويمكنك أن تبقي في إجازة مفتوحة حتى تسترد أعصابك وتكون مستعدا .. "
-" لا ! "
هتف " جيفري " مؤكدا :
-" لا .. أود أن أبقي ! "
دهش الرئيس لموقفه هذا ، ونظر بعمق لوجه مساعده فلاحظ تغيرا كبيرا قد طرأ عليه .. تمعن فيه لحظة ثم ابتسم بخبث ابتسامة غير مفهومة وغامضة للغاية !
...

تلقي خط النجدة اتصالا عاجلا من امرأة ملهوفة تقول أن هناك شبحا في منزلها !
-" ماذا .. سيدتي ؟! "
كررت الشرطية التي أجابت على الاتصال بدهشة وذهول ، فصرخت " ناتالي " وكأنها تصرخ في شخص واقف أمام وجهها :
-" أقول لك أن هناك شبحا في منزلي .. عفريت ! "
-" عفريت ؟! آه ! "
قالت الشرطية الشابة وهي تفكر أنها ليلة سوداء بحق ، فهذه ثالث مكالمة هستيرية تتلقاها الليلة :
-" سيدتي .. أرجوا أن تتمالكي أعصابك وتشرحي لي بدقة .. أي عفريت تتحدثين عنه ؟! "
كانت الشرطية تهدف إلي امتصاص غضب المتصلة وتهدئتها ، لتحصل منها على أجوبة منطقية تقولها لأقرب دورية شرطة إلي عنوانها ، عندما تأمرهم بالتوجه فورا نحو العنوان المقصود .. لكن عفريت ؟!
يا إلهي .. كيف ستقول لهم أن هناك سيدة أمريكية تطلب النجدة لأنها تتخيل وجود أشباح في منزلها ؟!
-" سيدتي .. "
-" اللعنة عليك ! "
صرخت " ناتالي " ورمت سماعة الهاتف بعيدا ، وتحولت لتري ذلك الكائن الغامض الذي يراقبها من طرف الغرفة الآخر .. وهنا سمعت صوت الباب الخارجي وهو ينفتح !
نظرت بلهفة هي وطفليها فوجدوا الأب يقف هناك .. كان " جيفري " يقف على عتبة الباب ثابتا مبتسما فجري الطفلان نحوه ، بينما تنفست " ناتالي " الصعداء .. نظرت نحو الموضع الذي كانت تشغله العجوز المخيفة فوجدتها قد اختفت !
شعرت براحة هائلة تغمرها ، وهرولت لتلقي بنفسها بين ذراعي زوجها وهي تبكي كطفل :
-" لا تتركنا وحدنا .. لا تتركني ثانية ! "
حل الهدوء الكامل على الأربعة ، وشعر الطفلين بشيء غريب يحدث لدرجة أنها ألجما ، حينما بدآ في سرد قصة ظهور شبح الجدة هنا منذ دقائق أثناء انقطاع التيار الكهربي .. أما الأم فقد دفنت وجهها عميقا في صدر " جيفري " ، وأخذت تنتحب والعجيب أنه لم يسألها عن سبب بكائها ، وذعرها ، وذعر الطفلين .. والعجب كذلك أصاب " ناتالي " ، ولكن بدرجة أخف كثيرا ، وأخذت تتساءل بينها وبين نفسها عندما لامست بشرة زوجها وأصبحت في حضنه :
-" لماذا هو بارد هكذا .. لماذا ؟! "
...
أوصل الطفلان إلي غرفتهما وحكي لهما ، في واحدة من المرات القليلة في حياته ، قصة لطيفة تساعدهما على النوم .. ورغم اللطف الذي أبداه نحوهما ، إلا أن الطفلين أبديا نفورا مثيرا للدهشة تجاه أبيهما بدرجة غير معتادة منهما أبدا .. بل إنهما حتى ، وعندما وضعها في السرير وحاول أن يقبلهما ، أشاحا بوجهيهما بعيدا عنه ورفضا أن يلامسهما !

رقدت بجواره " ناتالي " ، وطوقته بذراعيها ، بينما كان يوليها ظهره لكنها لاحظت ، للمرة الثانية كم هو شديد البرودة ، لكنها مثل المرة الأولي لم تجرؤ على أن تتفوه بكلمة !

(١٠)

كانت الساعة قد تخطت الثانية صباحا حين عاد إلي البيت أخيرا !
كان منهكا تماما ، وربما لا زال مذعور بدرجة ما ، لكنه كان سعيدا منتشيا .. شعر بذلك الشيء الجديد يتمشي في عروقه ، فرفع ذراعه ولمس بشرته برفق ، حتى أحس بنبضه الواهن الذي لا يكاد يحس تحت الجلد الشديد البرودة ..
راودته ابتسامة وشعر بقوة غريبة ، لكنها ثلجية أيضا ، تسري عبر عروقه .. أنتشي وامتلأ زهوا وقربا من الكون .. لقد كان الكون بعيدا عنه وصلبا وباردا وجامدا وبلا حياة ! الآن صار كل شيء قريبا واضحا جميلا ناعما دافئا له أريج حلو كأريج أحلي الأزهار ..
الآن فقط شعر كم كانت الليدي " إيفانا " قريبة ، كم كانت أمه قريبة ودافئة ، رغم أنه لم يرها منذ خمس أعوام .. فجأة تفجرت موجة من الأصوات والألوان من حوله .. رأي ألوان الستائر المشدودة على النافذة جلية صاخبة واضحة ، شم رائحة أزهار بعيدة ، لعلها في بيت يبعد عنه ألف كيلومتر .. سمع همس الماء ، وهو يسير حبيسا حزينا في المواسير المعدنية الصلبة الباردة ، فشعر بشفقة هائلة عليه .. سمع مواء قطيطات لا يدري أين تقبع الآن محروسة بعين الأم الحنون .. تداخلت مئات الأصوات والألوان والروائح ، حتى أحس أنه مغمور في محيط كامل ويوشك على الغرق .. فجأة سمع زقزقة طفل صغير يناديه :
-" أبي .. أبي ! "
لم يكن الصوت يخص أي من طفليه لكنه كان يناديه أبي !
حرك المنضدة ونهض ببطء .. لم يكن لديه أي سبب للتعجل أو الإسراع .. فالكون كله يسير بهدوء وروية محببة .. الكون كله قريب ويمكنه إيقاف الساعة متى أراد ذلك ، والبدء من جديد !
يا لأولئك المحنطين الجبارين .. لقد مُنح حياة جديدة هناك بينما كان يطفو فوق رؤوس الجميع !
توجه نحو السلم وصعده ببطء .. خطوة خطوة ودرجة درجة :
-" أبي .. أبي ! "
استمر الصوت المزقزق يناديه .. وصل حتى الطابق العلوي ومر من أمام غرفة طفليه .. شم رائحة النعاس تفوح منهما فعرف أنهما في أعمق مراحل النوم ..
توقف أمام باب غرفته وغرفة زوجته .. كان الصوت الذي يناديه أعلى ما يمكن سماعه هنا ، وقد بدأت اللهجة تتغير وتصير أكثر لطفا وتحببا :
-" بابي .. بابي ! "
مد يده وفتح الباب ببطء ورفق ..
بعد لحظة رأي زوجته راقدة على الفراش ، وظهرها نحوه .. نظر إليها بعمق ثم سمع الصوت للمرة الخامسة كأوضح ما يكون .. أمعن نظره في ظهر زوجته المتجه نحوه ثم أدرك ما يحدث وابتسم بسعادة !
إن زوجته حامل !

إنها تحمل جنينا صغيرا ، قد لا يتعدي عمره أسابيع ، لكنه يحادثه ويناديه الآن من داخل رحم " ناتالي " .. التي تجهل كل شيء عن ذلك !
صحت الزوجة فجأة على شعاع الضوء المتسلل من الخارج .. كانت تطوق " جيفري " بذراعيها عندما خلدت إلي النوم ، لكنها نظرت إلي الموضع الذي كان يشغله بين ذراعيها منذ قليل .. فوجدته خاويا !
أجفلت ونظرت خلفها ببطء ، فوجدته يقف هناك عند باب الغرفة .. بكامل ثيابه ومنظره المعتاد لكن هناك مسحة غريبة من تغير غير مفهوم على وجهه !
-" جيفري ! ما الذي أيقظك ؟! "
كانت تظنه قد نهض وغادر الفراش .. لكن لعلها مخطئة في ظنها هذا في نهاية الأمر !
ابتسم لها ثم سحب الباب ، وأغلقه خلفه دون أن يتفوه بكلمة .. نظرت نحو الباب المغلق بدهشة شديدة ، ثم أخذت فكرة عجيبة تدور في رأسها المتعب المثقل بالصداع وخدر النوم.. مدت يدها تتحسس الموضع الذي كان يرقد فيه زوجها منذ لحظات .. وجدته مستويا وباردا تماما .. لم يرقد أحد هنا بجوارها الليلة .. لم يرقد هنا أحد منذ ساعات .. مطلقا !

(١١)

مرا خلال سحابات من الأدخنة الغريبة المنبعثة من لا مكان .. تلاشي الكون من حولهم فلم يبق حولهم سوي طبقات من الضباب والدخان وروائح طيبة لأشياء تحترق حولهم .. كان " جيفري " يسير في المقدمة آخذا بيد أمه وعلى مسافة خطوتين خلفهما تسير الليدي " إيفانا " ، وهي تجر خلفها ، بصعوبة بالغة ، أنابيها وخراطيمها .. كانت كل تلك الأدوات الشريرة التي تفتقت عنها حاسة الشر وبلاهة التمسك المستميت بالحياة تتشبث بلحم الليدي الميتة ، وتعوقها عن السير كما يجب .. أخذت المرأة الواهنة المتعبة تجر أذيالها الصناعية المقيتة خلفها لبعض الوقت ثم نفد صبرها فراحت تسب وتلعن :

-" اللعنة .. هذين الولدين .. هذين المغلفين ! من قال لهما أن ماما تريد أن تقضي أبديتها وهي تجر خلفها كومة من الأنابيب والخراطيم ؟! "

ضحك " جيفري " وهو يسير أمامها وقال دون أن يلتفت إليها :

-" إنها وصيتك يا سيدتي بحسب ما عرفته من ولديك .. ومن السيد " موفات ! "

صاحت الليدي فيه بحنق وهي تسحب أنبوبا تشبث بشيء ما في غل وغضب سحبة جعلته ينقطع وتسيل منه مادة شفافة لها لون ازرق باهت محبب :

" أخرس .. لم أطالب بشيء .. لقد تصرفا على مسئوليتها .. إنني أغبط أمك ! "

أنطلق " جيفري " يضحك .. توقفت الليدي غاضبة عن السير وأخذت تحدق في ظهره وظهر أمه التي تسير وهي تشبك ذراعها بذراعه لبعض الوقت .. قبل أن تنتقل إليه عدوي المرح وتروح تضحك هي الأخرى .. وهي تحاول لاهثة أن تلحق بهم !

...

في الصباح فتح " جيفري " عينيه .. كان ممددا على بطنه في الفراش ، وهو وضع لم يستخدمه في النوم من قبل ، وخصلات شعره نافرة حول رأسه .. رفع رأسه وتلفت حوله ، كانت الغرفة خالية يغمرها شعاع الشمس .. كان الجو حوله صافيا وهادئا تماما .. لابد أن " ناتالي " الآن في المطبخ تعد الطعام ، والأولاد في الحديقة الخلفية ، التي يشتركون فيها مع جارهم الوحيد ذو الثمانين عاما ، يلعبون كرة القدم .. إن " ناتالي " تعد بيضا مقليا ، وشرائح لحم عجل مقددة وتضع عليها زبدة وقطع كاجو ، وصفة طعام غريبة لكنه يحبها .. إن " ناتالي " لم تعد له هذا الطبق منذ فترة لكنها تفعل الآن !

ما الذي أدراه بذلك .. توقف للحظة وأخذ يفكر في الأمر .. كيف عرف كل ذلك ؟!

ثم توقف لأنه أدرك أمرا أكثر غرابة .. إنه قادر أيضا على شم رائحة الطعام المنبعثة من مطبخ زوجته ، وسماع أصوات طفليه وهما يتبادلان الكرة بل ويري جيدا ما يرتديانه من ملابس وألوان أحذيتهما الرياضية الصغيرة !

انتباهه مباغتة لكنها أشعرته بدهشة شديدة .. فجأة تلاشي كل شعور بالغرابة لديه .. لقد صار يعرف .. فقط لقد صار يعرف كل شيء !

منذ أن صبوا السائل الثمين ، سائل التحنيط الحقيقي ، في شق يده المفتوح وسري في دمائه وقد انفتحت عيناه وصار يري كل شيء .. كل شيء !

لقد رأي أمه والسيدة " إيفانا " ، ورافقهما في رحلة قصيرة ، رغم كراهيته للثانية ، وسمع ورأي معهما كل شيء !

بل صار بإمكانه أن يفعل ما هو أكثر من ذلك .. أكثر بكثير جدا جدا !

...

أمام مقر الشركة ، شركة (العالم الآخر) ، توقف بشاحنته المميزة .. كان المقر مغلقا وموضوعا عليه لافتة تخبر المارة والسائلين أن الشركة في إجازة من العمل لمدة شهر .. يبدو أن " موفات " اللعين وموظفيه يخشون عواقب ما حدث مع " جيفري ديغراس " بالأمس .. لقد أوصله الرئيس بنفسه قرب بيته وحصل على وعد منه بأنه سوف ينسي ما حدث ، وسيحصل على الترضية التي تكفيه .. مع أن الرجل لم يكن غاضبا في الحقيقة .. بل كان سعيدا منتشيا وهو يجرب القوة الخارقة الممنوحة له لليلته .. إنه راقد بجوار زوجته وفي نفس الوقت يجلس بجوار رئيسه في العمل في شاحنة تبعد عن المنزل بضعة أمتار !
لقد صار بوسعه أن يتواجد في مكان في وقت واحد .. لقد أعطي السر وسري سر سائل التحنيط الثمين في عروقه .. إنه مُنح ولادة ثانية ورأي سلفه يعيش في زمن سابق !
رأي نسيخته القديمة تعيش في أرض قديمة وتتكلم لغة قديمة .. لقد أعاد اكتشاف أصوله وفهم سر اللعبة كلها .. سر الكون !
إنه يحب الموتى الآن .. ولا يقبل أبدا أن يفارقهم .. أو يبعده أحد عنهم !

...

دخلت " ناتالي " الغرفة فتفاجئت بأنها زوجها مستيقظا .. لقد ظنته يغط في النوم بعد الليلة الغريبة التي مر بها .. أما هي فلم تفق من كابوسها بعد !
لقد رأت حلما غريبا ، يصعب وصفه بكابوس مخيف لكنه أيضا لم يكن حلما لطيفا ، رأت فيه زوجها يعود إلي البيت ويدخل عليها غرفتهما .. مع أنه كان راقدا بجوارها فعلا !
وهم .. لقد كانت تهذي بلا شك .. مع أنها لم تتناول قطرة خمر طوال هذا اليوم .. لكن الظهور المرعب لحماتها الميتة في المطبخ كان كافيا لكي يدير رأسها أكثر من كل دنان الخمر التي تجري في وديان إسكوتلندا !
دخلت عليه ، ووقفت متمسرة للحظة وصينية الإفطار بين يديها .. لقد قررت أن تدلله اليوم وتقدم إليه الإفطار في السرير .. لن تعوده على ذلك لكنه يستحق أن يحظي بتدليل صغير كل فترة .
فور أن وقعت أنظاره عليها ابتسم لها " جيفري " وصاح مرحا وهو يفرك كفيه :
-" آه عمت صباحا يا زوجتي .. شرائح اللحم بالكاجو .. إنني متشوق وملهوف ! "
التصقت " ناتالي " بالأرض أكثر ورفعت حاجبيها دهشة وذعرا .. فكيف عرف زوجها ، الذي كان يغط في نومه ، بنوع الطعام الذي أعدته له ؟!

(١٢)

بعد شهر عادت شركة (العالم الآخر لخدمات الموتى والراغبين في وفاة مختلفة) للعمل وأعيد فتح مقر الشركة .. لكن سائق شاحناتهم " جيفري " لم يعد للعمل ، فلقد قدم استقالته من العمل ، أرسلها لهم البريد ، وباشر إجراءات فتح عمله الخاص .. بعد أقل من ثلاثة أشهر كان هناك مكتب صغير ، يقع على بعد شارعين ، من مقر الشركة الأولي يتم تسجيله قانونيا ويجري افتتاحه في حفل كئيب صغير .. حفل لم يحضره سوي صاحب العمل ، وزوجته المدعوة " ناتالي " وطفلين لطيفين صغيرين ، هما أولاده .. واثنين من أصدقاء صاحب العمل الجديد ، وحضره أيضا سيد يدعو " موفات " ، بصفته صديقا قديما وزميل مهنة ، لصاحب المكتب الجديد الذي كُتب اسمه بحروف فضية على زجاج الباب الخارجي المصنفر :

(" جيفري ديغراس " موصل موتي ومحنط قانوني !)

كان الأمر كله غريبا .. لكن الأمر الذي كان يجعل السيد " موفات " يصر على أسنانه غيظا هو كيف صار مستخدمه السابق ملما بتفاصيل عملية التحنيط وخبيرا بكل دقائقها .. من أين حصل على تلك المعرفة وكيف .. وكيف تمكن من اجتياز الاختبار القانوني في خدمة الموتى وتحنيط الراغبين منهم ، وهو لم يحصل على أي قدر من المعرفة الطبية أو الخبرة المسبقة .. هذا لغز يحيره .. لكن السيد " موفات " كعادته يحب الضحك ويكره الحقد والحسد ، مثلما يكره تصديع رأسه بالأسئلة .. ولماذا يسأل أصلا ، إنه أمر لا يخصه .. أم أنه يخصه ؟!

تمت